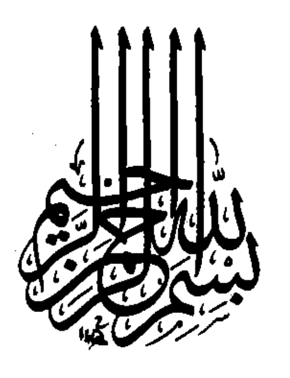


المسمى

تأصيل المسائل والقواعد والأصول المبلغة فهم ثلاثة الأصول

شرحه
خالد بن علي المرضي الغامدي

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا شرح مقعد وتبيان مؤصل على عقيدة سلف الأمة وما تناقلته الأئمة من اعتقاد أهل السنة على رسالة ثلاثة الأصول للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

بينت فيه مسائل المعتقد وما يحتاجه المسلم من المعرفة اللازمة في العقيدة المنجية، على هيئة المسائل والقواعد ليسهل ضبطها وفهمها وحفظها.

وإن شرح رسائل التوحيد وغيره من العلوم ومتون العلم على طريقة الشرح الموضعي والإسهاب في العبارات من أعظم ما يضيّع المقصود الذي وضعت من أجله هذه الرسائل والمتون وهو تيسير العلم وحفظه .

ومن تأمل في شروح كتاب التوحيد والواسطية وثلاثة الأصول وغيرها، وجد أكثرها على طريقة الشرح الأدبي وليست على طريقة التأصيل العلمي، ولهذا قَلّ الانتفاع بها ولجأ الطلاب لكتب المتأخرين وتركوا كتب الأولين .

هذا وإنني حرصت على إخراج شرح على هذه الرسالة (ثلاثة الأصول) لأنها على اختصارها وسهولتها حوت خلاصة العقيدة الإسلامية مع شمول جميع أبوابها ، على طريقة مؤلفها في تبسيط العلم وتيسيره .

ولقد ضمّنت في شرحي هذا معتقد أهل السنة وبيّنت مباحث التوحيد في الشهادتين وأنواع التوحيد (الألوهية الربوبية الأسماء والصفات وتوحيد المتابعة) ، وحقيقة العبادة، وما يناقض التوحيد من الشرك والكفر، وأبواب الكفر بالطاغوت، والهجرة ، والولاء والبراء ، وحقيقة الإسلام ، وحقيقة الإيمان ، ومسائل العقيدة، وأركان الإيمان بالقدر والرسل والملائكة والكتب والبعث والموت والغيبيات .

والواجب تعلّم مسائل التوحيد التي قررتها النصوص على طريقة السلف، والحذر من مخالفة منهجهم كما هو حال المتأخرين المدّعين أن السنة لم تبين التوحيد.

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: (سئل مالك عن التوحيد.فقال : محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد . فالتوحيد ما قاله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله). أخرجه الهروي في ذم الكلام.

أسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله المشروح ، وأن يجعله خالصا لوجهه وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

أبو علي خالد المرضي الغامدي الأزدي

في ديار غامد بالحجاز

في الثالث عشر من ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

ترجمة صاحب الرسالة: ثلاثة الأصول

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي.

ولد بالعيينة عام ١١١٥هـ، ورحل لمكة والمدينة والعراق والأحساء لطلب العلم، وقام بالدعوة للتوحيد بعد انتشار الشرك في المسلمين، وقد عرض دعوته على علماء الأمصار التي درس بها فأقره الكثير إلا أنه خولف في التكفير والقتال، احتضن دعوته ابن معمر أمير العيينة ثم ناصر دعوته محمد بن سعود العنزي أمير الدرعية عام ١١٥٧هـ، وقام بالجهاد ونصرة التوحيد وحرب الشرك وأهله، حتى توفي رحمه الله بها عام ١٢٠٦هـ . وقد نفع الله بدعوته في الجزيرة وخارجها.

وقد ناهض الشيخ كثير من الأمراء وعلماء السوء وألّبوا عليه الدولة التركية .

مؤلفاته : كتاب التوحيد . كشف الشبهات . الأصول الثلاثة . وينبغي لكل طلاب العلم دراسة هذه الرسائل الثلاث وحفظها لأنها بينت لب الدين .

ومنها : القواعد الأربع وهي خلاصة كشف الشبهات . نواقض الإسلام . مسائل الجاهلية . مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد رد به على أخيه سليمان . أصول الإيمان . فضل الإسلام . الرد على الرافضة . تلقين أصول العقيدة للعامة .

كما أن لـه : رسالة في الطاغوت . رسالة في توحيد العبادة . تفسير كلمة التوحيد . الأصل الجامع لعبادة الله وحده . ست مواضع من السيرة . ثلاث مسائل في التوحيد. ثمان حالات في آية:"فلا أعبد". مسائل من قوله تعالى: "وأن المساجد". فوائد من سورة الفاتحة . مختصر السيرة . مختصر زاد المعاد . مختصر الإنصاف والشرح الكبير. مختصر فتح الباري لم يطبع . جامع الأحاديث. ورسائل أخرى.

تمهيد : التعريف برسالة الأصول الثلاثة ومضمونها

أولاً: تاريخ تأليفها ومن سماها بثلاثة الأصول ومن وضع المقدمات الثلاث :

الصحيح أن تأليفها وجمعها كتب في مراحل، وأن المؤلف هو الذي وضع المقدمات الثلاث عليها .وأنه هو الذي سماها، ويخطئ من يسميها الأصول الثلاثة .

ثانياً : هذه الرسالة مكونة من ثلاث مقدمات وأصول ثلاثة :

الأولى : حقيقة الدين وجوب العلم به والعمل به والدعوة إليه والصبر عليه.

الثانية : الحكمة من الخلق والربوبية وبعثة الرسل والانقياد بالتوحيد وترك الشرك والبراءة من أهله ومعاداتهم .

الثالثة : ملة إبراهيم القائمة على التوحيد وترك الشرك .

ثالثاً : الأصول الثلاثة هي : معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام.

رابعاً : الأصل الذي أخذت منه الأصول الثلاثة :

الأول : قول ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضي :

بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً) رواه مسلم .

الثاني : حديث البراء بن عازب ﷺ في فتنة القبر وفيه : (فيأتياه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: **ربي الله** . فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: **ديني الإسلام**. فيقولان له:ماهذا الرجل الذي بعث فيكم؟فيقول:هو **رسول الله ﷺ**. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت) . وفي رواية: (فيقول:من ربك مادينك من نبيك؟ فيقول:**الله ربي،وديني الإسلام،ونبيي محمد ﷺ**).

رواه أبو داود وأحمد وغيرهما .

قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم) :

البسملة أوردها المصنف رحمه الله في بداية رسالته اقتداء بالكتاب العزيز ، وسنة الرسول ﷺ في رسائله حيث كان يبدأها بالبسملة، أما حديث : (كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ بباسم الله فهو أقطع أو أبتر) ففي سنده ضعف .

وأما معنى البسملة:

(الباء) هنا في بسم أصح ما يقال أنه للابتداء والاستعانة والتبرك ، أي أتبرك وابتدئ مستعينا الله.

و**(اسم)** هنا حذفت الهمزة منها للتخفيف، والاسم مشتق من السمو وهو العلو ، ومشتق من السمة وهي العلامة والصفة ، فأسماء الله صفات له أي علامات وأوصاف ، وأيضاً سامية في قدرها ومكانها ، فهي لله ﷻ في قدر عال .

لفظ الجلالة **(الله)** اسم مشتق وليس بلفظ جامد وأصله مشتق من الإله على الصحيح، بعد أن حذفت الهمزة وأدغمت اللامين فصارت الله، والإله مشتق من أله إذا تأله وعبد فهو مألوه معبود كما سيأتي . ، ويدل لذلك ما أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **(الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين)**.

(الرحمن الرحيم) اسمان لله ﷻ اشتقا من صفة الرحمة، والرحمن من الأسماء الخاصة به سبحانه بخلاف الرحيم، والصحيح في الفرق بين الرحمن والرحيم أن الرحمن من صفات اللزوم والذات وأما الرحيم فهي من صفات الأفعال التي تأتي وتذهب ليست ملازمة له عز وجل فالرحمن إذا أبلغ .

المقدمة الأولى : حقيقة الدين

قوله : (اعلم رحمك الله : أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل .

(الأولى) العلم ، وهو :

معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام ، بالأدلة .

(الثانية) العمل به .

(الثالثة) الدعوة إليه .

(الرابعة) الصبر على الأذى فيه .

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ العصر: ١-٣.

قال الشافعي رحمه الله تعالى :

لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم .

وقال البخاري رحمه الله تعالى :

باب : العلم قبل القول والعمل .

والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ محمد: ١٩.

فبدأ بالعلم قبل القول والعلم .) .

وتحت هذه المقدمة عدة مسائل توضحها وتجلي حقائقها وفوائدها ، نسوقها إليك مختصرة :

المسألة الأولى : هذه المقدمة الأولى التي وضعت بين يدي رسالة الأصول الثلاثة ، وموضوعها حول حقيقة الدين ، معرفته والعمل به والدعوة إليه .

مسألة (٢) : قوله : اعلم : هذا من العلم الواجب تعلمه والذي لا يعذر الجاهل فيه ، ومن جهل أصول التوحيد فليس بمسلم بل هو كافر كفر إعراض .

قال ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) : (فأما الذي لا يجوز الجهل به من دين الله فتوحيد الله تعالى ذكره والعلم بأسمائه وصفاته وعدله) التبصير ص١١٢ .

قال ابن منده (ت:٣٩٥هـ) : (ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله ﷻ ووحدانيته كالمعاند) التوحيد ٢٦١ .

م (٣) : درجات العلم والإدراك :

أعلاها : اليقين وهو العلم مع العمل والاعتقاد الجازم والطمأنينة .

الثانية : العلم .

الثالثة : الظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين من غير قطع .

الرابعة : الشك وهو التردد بين أمرين لا ترجيح لأحدهما .

الخامسة : الوهم وهو الاحتمال المرجوح المقابل للظن .

السادس : السهو والنسيان والخطأ .

السابع : الجهل البسيط وهو عدم العلم بالشيء مع العلم بوجود الجهل .

الثامن : الجهل المركب وهو الجهل بالجهل .

والملاحظ أن جميع المراتب تنقسم إلى قسمين :

١ - العلم ويدخله اليقين . ٢- الجهل ويدخل فيه الظن والشك والوهم.

م (٤) : أنواع العلوم :

الأول : العلوم النافعة : وهي على درجات منها الواجب تعلمه ومنها المستحب ومنها الجائز . وجاءت النصوص بالأمر بطلب العلم الواجب .

الثاني : العلوم الضارة : التي يحرم تعلمها وتعليمها ، كعلم السحر والقوانين .

م (٥) : **عبر بالمسائل** : لأن المسلم سيُسأل عنها ويحاسب عليها : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ القصص: ٦٥ – ٦٦ .

م (٦) : حقيقة العلم والمعرفة وبيان قوله المؤلف : (العلم : وهو معرفة) :

أولاً : مقصود الشيخ بالعلم والمعرفة : هي المعرفة الشرعية التي بمعنى الإيمان القائم على التصديق والعمل وليس المقصود بالمعرفة المعرفة المجردة التي لا تثمر عملا، فهذه ليست المقصودة ولم يتعبدنا الله بمعرفته دون العمل له .

ثانياً : شروط اعتبار العلم والمعرفة :

١ – أن تكون معرفة صحيحة مبناها على نصوص الوحي ، ويخرج بذلك دعوى المعرفة وهي غير صحيحة كما في معتقدات الجهمية معرفة الله عندهم إنكار الصفات والعلو والإستواء ، وهذا جهل بالله وليس علماً به *.

٢ – أن تثمر العمل .

ثالثاً : المعرفة قسمان : ١ – معرفة فطرية عقلية وهي الدالة على التوحيد .

٢ – معرفة استدلالية سمعية ، وطريقها الأدلة الشرعية .

---

* ومن عجيب ما يذكر هنا أن الشيخ أحمد ديدات المشهور بمناظرات النصارى عفا الله عنا وعنه كان في أحد مناظراته لأحد النصاراى يناظره في العلو فالنصراني يثبته وديدات ينكره، ويزعم أنه يناظر على مبادئ الإسلام فتأمل ، ولذلك قال الدارمي وغيره من أئمة السلف: اليهود خير من الجهمية، حيث قالت اليهود: يد الله مغلولة ، وقالت الجهمية : ليس لله يد حقيقة وإنما يداه هي النعمة والقدرة .

رابعاً : المعرفة والعلم والاعتقاد والإيمان والتصديق ، مدلولها واحد، وإن كان بينها من حيث اللغة فرق . فقولنا العلم بالله والإيمان بالله ومعرفة الله بمعنى واحد.

خامساً : الفرق بين العلم والاعتقاد :

قال السمعاني في القواطع :" الاعتقاد قدر زائد عن العلم، يعلم ثم يعتقد فالاعتقاد للقلب كالطاعة للبدن " . **فالاعتقاد من أعمال القلب والعلم من أقواله** .

سادسا: **الفرق بين العلم والمعرفة** :

أن العلم محمود في الغالب بخلاف المعرفة .

أن الله يوصف بالعلم بخلاف المعرفه وإن كان يخبر عنه بها .

أن العلم معرفة وزيادة وفي الغالب يستلزم العمل .

أن المعرفة تتعلق بالذوات والعلم بحال هذه الذوات .

المعرفة تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه قاله صاحب المدارج .

أن العلم يقابل الجهل والمعرفة تقابل الإنكار .

سابعاً: محل العلم وركنه: العلم محله القلب، وهو من قسم قول القلب وليس من عمله، كاليقين والصدق والمحبة . فليس للعلم إلا ركن واحد وهو قول القلب .

ثامناً : ضد العلم والمعرفة : الجهل والإنكار والجحد :

والإنكار يطلق على حالين:

١- إنكار القلب وهو الجهل ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ .

٢- إنكار اللسان مع اعتراف القلب ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ .

وهو بهذا يكون مثل الجحود . والإنكار غالبا ما يقارن التكذيب والجهل .

تاسعاً : الفرق بين الإنكار والجحود : الإنكار أعم والجحود أخص مطلقاً :

١- الإنكار يكون مع الجهل، ويكون مع العلم واليقين، والثاني المرادف للجحد، فلا يكون الجحود إلا مع اليقين والعلم ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ .

٢- الإنكار يكون بالقلب واللسان والجحود باللسان مع إقرار القلب.

٣- الإنكار يكون للأمر الظاهر والخافي أما الجحد فهو إنكار الشيء الظاهر ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣ .

٤- الإنكار قد يكون حقا إذا كان المنكِر مُحِقا .

والجحود نقيض الإقرار، والإقرار يحصل بالقلب واللسان ولازمه الانقياد.

م (٧):المعرفة المقصودة بقوله:(معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام) :

أولاً : كيفية تحقيق العلم بهذه الأصول الثلاثة:

١- العلم بمدلولها .

٢- الالتزام بذلك المدلول .

٣- ترك ما يناقض ذلك المدلول .

ثانياً : ما يتضمنه العلم بالله وبرسوله ودينه وما يكون العلم عليه:

١- العلم بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته وربوبيته وأفعاله .

٢- العلم بألوهيته وكونه المستحق وحده للعبادة .

٣- العلم بقضائه وقدره .

٤- العلم بأخبار الله وبالغيبيات من الملائكة والرسل واليوم الآخر .

٥- العلم بدينه بأوامره وشرعه وما في كتابه .

٦- العلم برسوله ﷺ ومتابعته ومحبته وتصديقه .

٧- العلم بالبعث والحساب .

وسيأتي تفصيل العلم بهذه الأصول ومسائل التوحيد .

ثالثاً : تفاوت الناس وتفاضلهم في المعرفة والعلم بالتوحيد :

العلم منه الإجمالي الواجب والذي يكفر مفتقده، ومنها التفصيلي الكمالي المستحب وهذا يتفاوت الناس فيه ويتفاضلون به .ومما يدل على التفاضل في العلم :

قوله ﷺ :(إني أعلمكم بالله) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له.

رابعاً : المعرفة بهذه الأصول على الحقيقة هي العاصمة للدم:

عصمة الدم وحرمته ضد هدر الدم وإباحته .

والذي يعصم الدم شيئان : الإسلام . والعهد والذمة للكافر .

والذي يهدر الدم هو المستثنى في قوله إلا بحق الإسلام كما في الحديث .

قال ﷺ :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام) رواه البخاري.

والمهدر للدم خمسة أسباب :١- الكافر المحارب إلا المعاهد .٢- المرتد .٣- المحارب والمفسد من المسلمين .٤- الزاني المحصن واللوطي . ٥- القاتل قصاصا .

م (٨):المقصود بقول المؤلف:(بالأدلة) :

أولاً : لابد من أخذ العلم بدليله ، فلا يصح دين المقلد .

ومما يدل على ذلك ما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ وفيه : (فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت) . رواه أبو داود وأحمد.

فالملائكة تسأل المقبور بعد الثلاثة مسائل عن طريق المعرفة والاستدلال، مما يدل على وجوب معرفة الله ورسوله ودينه بالدليل لا بالعادة والتقليد.

وقد نقل السفاريني في لوامع الأنوار الخلاف في صحة إيمان المقلد .

ولهذا ما أكثر ما نجد في زماننا من يسمون بعوام الناس ثقافتهم عالية في العمران والطب وأمور دنياهم، بينما يجهلون أصل الأصول وما يخرج من الملة فيعرضون عن الدين لا يعلمونه ولا يعملون به ولا يتعلمونه نسأل الله العافية .

ثانياً: طرق معرفة التوحيد والأدلة عليه : للتوحيد طرق تدل عليه وتوصل للعلم الحق به، أعظمها النظر في ربوبية الله وخلقه وكماله في أفعاله وتدبيره وإنعامه .

والنظر في حال المخلوقات التي عبدت وعظمت مع أنها قائمة على الضعف متصفة بالذل والهوان والخضوع لله، وهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً.

فالتوحيد دل عليه العقل والحس والفطرة والمخلوقات والتدبير للكون .

وللمتكلمين طرق فاسدة واستدلالات باطلة أرادوا بها إثبات وجود الله وتوحيده وقد ذكرناها في كتاب التوحيد وكتابنا الرد على الأشاعرة .

م (٩): مكانة العمل ، وبيان مراد المؤلف بقوله:(الثانية : العمل به) :

دين الإسلام والتوحيد يقوم على القول والعمل ، وتارك العمل ليس بمسلم ولا مؤمن ، وقد نقل الإجماع على هذا الأمر أئمة السلف، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة٥.

ويدل لمكانة العمل قوله ﷺ : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن: ومنها: **وعن علمه فيم فعل**) . رواه الترمذي والدارمي وأبو يعلى بسند حسن.

تنبيه:من الأمور الخطرة العلم بلا عمل وهي صفة اليهود المغضوب عليهم وقد شبهوا بالحمار ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الجمعة: ٥ حملوا الكتب لكن لم يستفيدوا منها، فهم أخبث من النصارى الضالين الذين يعملون بلا علم،ومن هذه حاله ثبت في الصحيحين أنه يرمى في جهنم كالحمار وإذا سأله أهل النار ، قال: (كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه).

هذا وقد قيل : وعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن

م (١٠) : لم يخالف في كفر تارك العمل إلا المرجئة:

انظر إجماع السلف على كفر تارك العمل وردهم على المرجئة في الإبانة لابن بطه والشريعة للآجري والاعتقاد للالكائي والإيمان لابن مندة والسنة وغيرها .

م (١١) : وجوب الدعوة للدين ، وبيان قول المؤلف: (الثالثة: الدعوة إليه) :

ويدل له قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ يوسف: ١٠٨.

م (١٢) الأمور الداخلة في الدعوة للدين :

الأول : الدعوة إلى الله على بصيرة

الثاني : تعليم الناس العلم الشرعي .

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : الجهاد في سبيل الله وهو مما يدخل في الدعوة إلى الله .

وهذه الأمور عدها جماعة من أهل العلم الركن السادس من أركان الإسلام.

وقفة لطيفة : إننا لنعجب من أقوام في زماننا - لا كثرهم الله - عن الدعوة معرضين ، ترى الواحد منهم يأتيه الكافر لعقر داره لعمل ونحوه فلا يسمع كلام الله من هذا المسلم ولا يجد منه دعوة للدين ناسيا قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ التوبة: ٦، والأخبث منه طوية وأفسد منه هوية من يسافر لديار الكفار فيأتي المسلمين بزبالات أفكارهم وينشر مبادئهم ويدعوا لطريقتهم فبدل أن يدعو للدين دعا لضده والعياذ بالله من الخذلان .

م (١٣) : وجوب الصبر، وبيان قول المؤلف: (الرابعة: الصبر على الأذى فيه):

أولاً : الصبر يتعلق بأمرين : ١- الصبر على القيام بالدين تعلما وعملا .

٢- الصبر على الأذى والتحمل في سبيله وفي سبيل الدعوة إليه .

ثانياً: أنواع الصبر :

١ - الصبر على شرع الله ، بفعل الأمر وترك النهي . ٢-الصبر على أقدار الله .

ثالثاً : الفتنة في الدين والبلاء سنة من سنن الله يبتلي الله بها عباده المؤمنين ليميز به بين الصادق والكاذب قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ العنكبوت: ٢-٣.

وقال ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤.

رابعاً : وقفة لطيفة : إننا لنعجب من أقوام في زماننا ظنوا أن الدين وتبليغه يتحصل لهم بالنوم على الفرش والسفر واللهو واللعب ، ولهذا كان بعضهم منهزما عند أول مراحل البلاء فلم يصبر حين أوذي ولم يفكر في التصبر حتى انتكس رأسا

على عقب والله المستعان ، وصار حربا على الدين وأهله طمعا في الدنيا وكان من أهل قوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ العنكبوت: ١٠.

ألا فليتنبه أهل الدين في كل زمان لهذا الباب وليجاهدوا في الله حق الجهاد وليصبروا على ما ينالهم فإن العاقبة للمتقين .

وليعلموا أن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر مع اليقين .

وليتيقنوا خبر الصادق المصدوق: (**أن النصر مع الصبر**) رواه أحمد .

م (١٤) : **الدليل على هذه الأمور الأربعة منصوص عليه بسورة العصر** :

١ -العلم بالله وبنبيه وبدينه والمعرفة بها ، دل عليه قوله: ﴿ ءَامَنُواْ ﴾.

٢- العمل به ، دل عليه قوله: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

٣- الدعوة إليه ، دل عليه قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾.

٤- الصبر على الأذى فيه، دل عليه قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

م (١٥) : **تفسير سورة العصر** : أقسم الله تعالى بالعصر وهو الوقت وذلك لعظمته وأهميته فهو مستودع الأعمال الصالحة التي تدخل الجنة والطالحة الخاسرة التي تدخل النار ، وقد أقسم الله به في مواضع (والضحى والفجر والليل والنهار) ، ولله أن يقسم بما يشاء وليس للعبد أن يحلف بغير الله وأسمائه وصفاته الدالة عليه.

وجواب القسم : إن الإنسان لفي خسر ، فجميع الناس في خسارة في الدنيا والآخرة، إلا من استثني وهم من توفرت فيه أربعة شروط جعلنا الله من أهلها هي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق بالدعوة للدين ، والصبر على ذلك.

تنبيه : معنى: (وعملوا الصالحات) :

١ - أن الأعمال من الإيمان، فيكون العطف من باب عطف الخاص على العام .

٢- أن العمل المقصود به العمل بالعلم ، فيكون أمراً زائدا عنه .

م :(١٦) : كلام الشافعي عن سورة العصر :

بين رحمه الله أهمية السورة وأنها شاملة لما يصلح دنيا الإنسان ودينه وآخرته.

أما مقصوده بكفتهم فالمراد به في الحجة وليس في الأحكام وتفاصيل الشرائع.

م :(١٧) : كلام البخاري في منزلة العلم :

بوّب البخاري رحمه الله في صحيحه بابا بيّن فيه مكانة العلم وأن الواجب أن يسبق العمل مستدلا بقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾

وذلك أن العمل الذي منه الاستغفار من الذنب يكون بعد العلم . حيث يجب أن يعلم الإنسان التوحيد الذي دلّت عليه كلمته (لا إله إلا الله)

ومما يدخل في العلم بالتوحيد العلم بالرسول ومتابعته والعمل بدينه الذي هو الإسلام،وسنأتي على مسألة:(**دلالة التوحيد على جميع الدين والأصول الثلاثة كلها**).

م (١٨) : أقسام الناس في الجمع بين العلم والعمل :

١ - من يعلم ويعمل بما علم وهم المنعم عليهم من أهل الإسلام والإيمان.

٢ - من يعلم ولا يعمل ، وهم اليهود ومن شابهم من علماء السوء.

٣- من لا يعلم فيعمل بضلالة أو يعرض بجهالة، وهم النصارى وأشباههم.

وقد حذرنا الله اتّباع الطريقين وأمرنا سلوك صراط المنعم عليهم من المؤمنين ، فقال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

المقدمة الثانية : الحكمة من الخلق الانقياد بالتوحيد

قوله : (اعلم رحمك الله: أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن :

الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ، ولم يتركنا هَمَلاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾ المزمل: ١٥ – ١٦.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ الجن: ١٨.

الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحّد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .

والدليل قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢.) .

وتحت هذه المقدمة عدة مسائل ومباحث :

المسألة الأولى : موضوع المقدمة الثانية :

هذه الجملة تدور حول الانقياد بالتوحيد واشتملت على ثلاثة مسائل :

١- توحيد الربوبية : وجوب الإقرار بأن الله خلقنا ، وخلقنا لحكمة لا عبثا ولا هملا، بل أرسل لنا الرسل لغاية، فمن حقق الغاية وأطاع الرسل دخل الجنة .

٢- توحيد الألوهية : وترك الشرك وأن الله لا يرضاه، وهذه الغاية.

٣- الولاء والبراء : أن لازم توحيد الله بالعبادة وتوحيد المتابعة وطاعة الرسل البراءة من الشرك وأهله ومعاداة الكفار وعدم موالاتهم.

مسألة (٢) : أن هذه المسائل الثلاث يجب تعلمها ثم العمل بها ، وليس المقصود بها العلم دون العمل ، ولهذا كان منهج سلفنا العمل بما علموا .

قال ابن مسعود ﷺ : لم نكن نتجاوز العشر آيات حتى نعلمهن ونعمل بهن.

م (٣) : العلم بهذه المسائل يشترك فيه الرجل والمرأة ، والعجيب من دعاة إخراج المرأة من بيتها وترك قرارها بل وترحيلها لبلاد الكفر وهي لم تتعلم هذه المسائل وذلك بدعوى تعلم علوم الدنيا ومعها طريقة الكفار حتى تتخلى هي والرجل عن هذه المسائل وأولها معاداة الكفار فتأمل المكر والكيد من أهل النفاق.

م (٤) : لوازم وأسرار المسألة الأولى (توحيد الربوبية):

أولاً : أن من معاني الربوبية إرسال الرسل للخلق معلمين وهادين ومبشرين ومنذرين، وأن ذلك من عناية الله بعباده وحفظه لهم وكمال ربوبيته، وذلك لأن الخلق لا يمكنهم معرفة مراد خالقهم إلا عن طريق الرسل، وإن كانوا مفطورين على التوحيد إلا أن تفاصيل الشرائع وما يصلح لهم لا يمكنهم التوصل إليه إلا بالرسل.

ثانياً : أن الخلق جميعا في حاجة لربوبية الله وألوهيته ، فإلى الله تصمد الخلائق وترغب ولا غنى لهم عنه .

ثالثاً: من ظن أن العباد خلقوا عبثا أو سدى فقد طعن في الربوبية :

فنحن لم نخلق عبثا من غير حكمة ، ولم نترك هملا لا نؤمر ولا ننهى ، بل خلقنا لحكمة وهي عبادة الله ، وألزمنا بالتزام أوامر الله واجتناب نواهيه ، ورتب لنا الجزاء بالثواب للمطيع والعقاب للعاصي .

ودليل هذا الأصل :

١ – قوله تعالى :﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ القيامة: ٣٦.

١ – قوله ﷻ:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٥.

﴿ سُدًى ﴾: أي لا يؤمر. ﴿ عَبَثًا ﴾: أي من غير حكمة ولا عبادة ولا حساب .

ومن اعتقد انتفاء الحكمة في الخلق وأنكر الحساب والبعث وإرسال الرسل فقد طعن في الربوبية ، ولذلك قال تعالى بعد هذه الآية :

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون: ١١٦.

وفي آية أخرى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

ولذلك من الأمور الواجب معرفتها : أن إرسال الرسل والعمل بالشرع والبعث والحساب من أفعال الربوبية ، ومن أنكرها أو طعن فيها فقد طعن في الربوبية ووقع في الشرك فيها ، وسيأتي تقرير توحيد الربوبية إن شاء الله .

م (٥) : مضمون المسألة الثانية (توحيد الألوهية):

أولاً : أن هذه المسألة مترتبة على المسألة التي قبله وكالنتيجة لها ، وهذا على القاعدة (توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية) .

ثانياً: أن موضوع هذه المسألة في الشرك وسيأتي الكلام عنه في مبحث مستقل.

ثالثاً : أن الرضا صفة من صفات الله الفعليه الاختيارية القائمة به والحادث فعلها متى شاء كما هي عقيدة أهل السنة خلافا للفرق من الجهمية المعطلة وغيرهم، وهي تتعلق بالأعيان فيرضى تعالى عن المؤمنين، ويتعلق بالأعمال فيرضى بالتوحيد ولا يرضى الشرك والكفر والمعاصي كما أخبر سبحانه عن نفسه .

والدليل قوله تعالى:﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ الزمر: ٧ .

م (٦) : مضمون المسألة الثالثة (الولاء والبراء):

هذه المسألة مترتبة على المسألة التي قبلها وكالنتيجة لها .

لكن هنا مسألة مهمة : **هل الولاء والبراء من لوازم التوحيد أو من مضمونه ؟**

والصحيح أن الولاء والبراء يدخل في التوحيد .

فالتوحيد يدل على الولاء والبراء مطابقة وتضمنا ويدعو إليه لزوما .

وقد جعله المؤلف هنا من لوازم التوحيد حين قال: (من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله) وهذه دلالة الإلتزام.

بينما جعله في تفسيره للشهادة من معاني التوحيد ومن مضامينه ومقتضياته.

وضبط هذه القاعدة يفيد في معرفة علاقة الولاء بالتوحيد ووجه دخوله في الشرك وعلة كفر من تولى الكفار ، وقد بينت المسألة في كتاب قواعد الولاء والبراء .

مبحث : الولاء والبراء

المسألة الأولى : أدلة الولاء والبراء : قال الله تعالى :

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨٠ – ٨١.

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢٢.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة ٥١.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ آل عمران: ٢٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء ١٤٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ المائدة: ٥٤ .

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ الإسراء: ٧٥ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هود: ١١٣.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ آل عمران: ١١٨ .

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ البقرة: ٢١٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٠ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ البقرة: ١٠٩ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ .

المسألة (٢) : من أعظم لوازم ومقتضيات كلمة التوحيد الولاء والبراء :

دلت كلمة التوحيد على الموالاة والمعاداة بالدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والتلازم، وقد بينا ذلك في كتابنا قواعد الولاء والبراء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) . رواه الطبري ونحوه عند الطبراني .

وقال النبي ﷺ : (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) . رواه الطبراني .

قال ابن عقيل : (إذا أردت أن تنظر إلى محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في الجوامع ولا ضجيجهم بلبيك وإنما انظر إلى موافقتهم لأعداء الشريعة) الآداب لابن مفلح ١/ ٢١٠ .

قال ابن تيمية : (إن الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه **يقتضي عدم ولاية** الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم **يقتضي عدم الملزوم**). مجموعة التوحيد ٢٥٩.

قال محمد بن عبدالوهاب : (لا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم كما تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار وكما تبرأ نبينا محمد ﷺوصحبه من كفار قريش وهذه هي الموالاة للمؤمنين والمعاداة للمشركين التي هي أصل عرى الإيمان وأوثقها) . الدرر ٢/ ٩٥.

قال ابن القيم في النونية :

أتحب أعداء الحبيب وتدعى ** حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ** أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ** تحب على محبته بلا نقصان

م (٣) : قيام الولاء والبراء على ركنين :

الولاء يقوم على ركنين : ١/ المحبة ٢/ النصرة وهي الموالاة الفعلية الظاهرة .

البراء يقوم على ركنين : ١/ البغض الباطن ٢/ المعاداة الفعلية الظاهرة .

ولا يتم الولاء والبراء إلا بركنيه الظاهر والباطن ولا يقبل من المسلم توحيده إلا بقيامه بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

ولا يقبل ولاءه للمؤمنين إلا بمحبتهم ومناصرتهم وموالاتهم ظاهراً وباطناً .

ولا تصح البراءة من المشركين إلا ببغض الكفار بالقلب ومعاداتهم وجهادهم والكفر بهم وتكفيرهم بالعمل الظاهر.

والبغض من أفراد البراء وأبوابه ، فالبراء أعم من العداوة.

م (٤): أن البراءة تكون بالقلب واللسان واليد .فهي قول وعمل واعتقاد، ولا تكفي البراءة بالقلب دون ركنها العملي الظاهر القائم على المعاداة .

م (٥) : حكم المعادة وحكم إظهارها :

لابد من إظهار العداوة للكفار وإبدائها وإظهار الموالاة والمودة والمناصرة للمؤمنين ولا يعتبر الشخص مسلما إذا لم يبغض الكفار ويعاديهم ولا يتم إسلامه ويكتمل إلا بهذا الإظهار فترك معاداة الكفار وبغضهم كفر أما ترك إظهار المعادة فهو معصية وفسق دون الكفر .

قال ابن سحمان : (لا يقول بأن من لم يظهر عداوة المشركين ويظهر بغضهم إلا الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ونحن لا نقول بهذا ولا نخرج بمجرد الإقامة بين أظهر الكفار وعدم إظهار العداوة من الإسلام) الجيوش الربانية ١٠٤ .

قال حمد بن عتيق:(من يقيم عند الكفار لأجل مال وولد وبلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا لا نكفره لأجل مجرد الجلوس ولكن نقول أنه عاصي) الدفاع عن أهل السنة ١٠ .

م (٦) : صور موالاة الكفار :

محبتهم ومودتهم ، الرضا بهم أو بكفرهم ، تصحيح مذهبهم ومدح طريقتهم، عدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم، ومناصرتهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي والأرض، الشماتة بأهل الإسلام أمامهم، الدلالة على المسلمين ونقل عورات المسلمين وأخبارهم وأسرارهم إليهم، التجسس والعمالة لهم، الإعراض عن المسلمين والإقبال عليهم، السماح لهم بالدعوة لدينهم وإظهار الفساد وبث الشبه ونشر كتبهم ومجلاتهم وثقافاتهم والسماح لهم بنشر أفكارهم وفسادهم، تمكينهم من إهانة المسلم والاعتداء عليه، عدم إظهار العداوة لهم وقصد مخالفتهم، موافقتهم في الباطن أو الظاهر، إذابة الروابط الدينية مع المسلمين وموالاتهم، إلغاء الفوارق بين المسلم والكافر وإدعاء المساواة بينهما مطلقاً، احترام شعائرهم وشعاراتهم، تنفيذ مخططاتهم وأهدافهم، عدم تربية المسلمين وتعليمهم معاداة الكفار، السماح لهم بإظهار كفرهم بحجة التعبير عن الرأي وحرية الفكر، إتخاذهم بطانة ومباطنتهم، استعمالهم والاعتماد عليهم، الثقة والرضا بهم، الميل إليهم، الدفاع عنهم والذب عنهم، ابتغاء العزة منهم، تسهيل أمورهم وتيسير وتنفيذ مطالبهم، طاعتهم، الدخول في سلطانهم، التشبه بهم، تهنئتهم بأعيادهم، رفع شعاراتهم، التحدث بلغتهم، مخالطتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم والإقامة بينهم، مصادقتهم، تبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم وتوقيرهم، الفرح برؤيتهم، الانبساط لهم وإنشراح الصدر لهم، البشاشة لهم، إكرامهم والمبالغة في استقبالهم، السعي في تقويتهم ونفعهم، مناصحتهم، مدحهم والثناء عليهم والإعجاب بهم.

م (٧) : أقسام موالاة الكفار :

الأولى: الموالاة المكفرة : **ومن صورها :** محبتهم لدينهم ، مظاهرتهم على المسلمين ، الرضا بكفرهم أو ظهورهم على المسلمين أو السعي في ظهورهم ، عدم تكفيرهم ، مساواتهم بالمسلمين وتفضيلهم عليهم ، توليهم مطلقا.

الثانية: الموالاة الصغرى: منها: مداهنتهم، التشبه بهم في دنياهم، البشاشة لهم.

م (٨) : الولاء والبراء ضدان :

فالتوحيد أن يصرف الولاء للمؤمنين والبراء والبغض والعداء للمشركين.

والكفر والشرك أن يصرف البراء والعداوة للمؤمنين، والولاء والمحبة للكفر والكافرين، فبهذا تتبين علاقة البغض التعبدي والبغض الشركي الكفري .

والقاعدة :

١ - أن من تجب محبته تجب موالاته ونصرته ومن يجب بغضه تجب معاداته .

٢ - ومن تجب محبته يحرم بغضه ومعاداته ومن يجب بغضه تحرم موالاته.

م (٩) : أن الإسلام بدون البراءة من المشركين وشركهم لا يكون مقبولاً، والتوحيد بدون الكفر بالطاغوت لا يقبل، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله، عبادة الله والبراءة من عبادة غيره .

م (١٠) : أن البراءة متعلقة بالشرك وفاعلي الشرك الذين هم أهله، فلا تكفي البراءة من الشرك الذي هو الفعل دون فاعله المشرك ولا العكس، بل لابد من البراءة من الفعل والفاعل والمفعول، من الشرك والكفر ومن فاعل ذلك الذي هو الكافر والمشرك ومن المعبود والطاغوت حياً كان أو جماداً .

م (١١) : أن أهل الشرك على قسمين : أصلي ومرتد : وكثير من العوام والجهال بحقائق الدين والتوحيد يظن أن البراءة خاصة بالكافر الأصلي دون المرتد.

م (١٢) : أن البراءة لا تتم إلا بأربعة أركان :

١ - البغض للكفار وهذا الركن القلبي .

٢- معاداتهم وإظهارها وهذا هو الركن العملي الظاهر .

٣- تكفيرهم والكفر بمعبوداتهم وشركهم وهذا الركن القولي اللساني .

٤- جهادهم وهو من صور معاداتهم .

م (١٣) : **من لوازم البراءة من المشركين :**

١ - إغاظة الكفار : فإغاظة الكفار ومحاولة تحصيل ذلك مطلب شرعي وقد أمرنا الله بذلك وامتدح الله أصحاب هذه الصفة. قال ﷻ: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ التوبة: ١٢٠ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩ .

وهذا بخلاف حال أهل النفاق رحماء على الكفار أشداء على أهل الدين .

فالشدة على الكفار والغلظة عليهم من لوازم التوحيد قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ٧٣

فالأصل وجود غيظ أهل الكفر وبغضهم ولا يزول إلا بالقتال والجهاد ، وقد قرر ذلك ابن تيمية في الصارم المسلول .

٢- قصد مخالفة الكفار : ويضاد هذا المبدأ موافقتهم والتشبه بهم .

وهذا من مقاصد الشريعة قال ﷺ : (خالفوا المشركين) رواه البخاري.

م (١٤) : أقوال أهل العلم في وجوب معاداة الكفار والبراءة منهم:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب :" وأنت يا من منّ الله عليك بالإسلام وعرفت أن ما من إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق وأنا تارك ما سواه لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم ".

وقال :" واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى إثماً مبيناً، فقد كلّف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم" .

وقال الشيخ سليمان في أول كتابه الدلائل :" الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستعدى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة .. فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر ".

وقال : (وعادى في الله هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد، إفادة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب) تيسير ٤٢٢.

وقال عبد الله وأخوه حسين ابنا الإمام محمد: " فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفّرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو ارتدوا فهذا لا يكون مسلماً ".

قال عبد الرحمن بن حسن " فلا يتم لأهل التوحيد توحيدهم إلا باعتزال أهل الشرك وعداوتهم وتكفيرهم ".

وقال عبداللطيف:" لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء الطواغيت وتكفيرهم ". وقال :" فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم وأحب ظهورهم، فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق " الدرر ٨ / ٣٢٤ .

ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن: "ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء " الدرر الجهاد ١٤١ .

وقال عبد الله بن عبد اللطيف :" التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي " الدرر ٨/ ٤٢٢.

وقال الشيخ حمد بن عتيق في سبيل النجاة والفكاك: " تأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولابد أيضاً أن تكون العداوة والبغض باديتين ظاهرتين بيّنة ودائمة ".

وقال أيضا :" قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم، ارتد بذلك عن دينه " الدرر ٩/ ٢٦٣.

- وقال :"إن مظاهرة المشركين، ودلالتهم على عورات المسلمين، أو الذب عنهم باللسان، أو الرضا بما هم عليه، كل هذه مكفرات ، فمن صدرت منه فهو مرتد ، وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين " الدفاع عن أهل السنة ٣١ .

المقدمة الثالثة : مِلّة إبراهيم التوحيد وعدم الشرك

قوله : (اعلم أرشدك الله لطاعته :
أن الحنيفيّة ملّةَ إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين .
وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها .
كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .
ومعنى يعبدون : يوحدون .
وأعظم ما أمر الله به : التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة .
وأعظم ما نهى عنه : الشرك ، وهو دعوة غيره معه .
والدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ النساء: ٣٦**).**

موضوع المقدمة الثالثة :

هذه الجملة تدور حول الملة الإبراهيمية وقيامها على التوحيد وترك الشرك وإخلاص الدين لله وعبادته وحده وهذه الحكمة التي من أجلها خلق الخلق.

وتحتوي هذه المقدمة على أربعة مسائل ومبحثين :

المسائل هي: ملة إبراهيم ، الإخلاص ، الحكمة من الخلق ، المقصود بالعبادة.

ومبحث عن حقيقة التوحيد ، ومبحث عن حقيقة الشرك .

فإليك البيان ومن الله نستمد التوفيق :

المسألة الأولى: التعريف بملّة إبراهيم عليه السلام:

أثنى الله ﷻ على إبراهيم، وأمرنا باتّباع ملته، وجعل السفاهة في تركها، وأخبرنا أنها تقوم على التوحيد والإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت والجهاد:

فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾البقرة:١٣٠ ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾النحل١٢٣ ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨.

أهمية ملة إبراهيم عليه السلام وأنها على الفور وليست على التراخي:

اعلم أن ملة إبراهيم التي هي إخلاص العبادة لله والكفر بالطاغوت أول ما يجب على المسلم معرفته والعمل به، ولا تنظر إلى ما يزعمه بعض المنتسبين للعلم من أن ملة إبراهيم آخر مرحلة في الدعوة فلا يُبدأ بالكفر بالطاغوت وأنه يعارض الدعوة بالحكمة والحسنى، فدعوا لتوحيد الكلمة دون كلمة التوحيد، واعتذروا بمصلحة الدعوة وخوف الفتنة، ونسو أن أعظم فتنة الشرك وكتم التوحيد والتلبيس في الدين، ولكي يتبين لك الحق وضلال هؤلاء تدبر هديه ﷺ من أول ما بُعث بقوله في المدثر ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ حيث كان مظهرا الكفر بالطاغوت مع لينه وخُلقِه ولا تعارض بينهما، فهو القائل زمن الاستضعاف لعمرو بن عبسه:(**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان**) رواه مسلم، فانظر كيف أنه لم يقل أرسلت بالتسامح والإخاء، أو بصلة الأرحام فقط، مما يدل على أنه ﷺ لم يترك يوما واحدا عيب الشرك وأهله.

قال ابن القيم في الزاد في جهاده:(دخل الناس في الدين وقريش لا تنكر، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة).

المسألة الثانية : حقيقة الإخلاص ، والمراد من قول المؤلف: (مخلصا له الدين):

أولاً : المراد بالإخلاص: قصد الله بالعمل والطاعة وإرادة وجهه بالعبادة . وعدم الوقوع في الشرك ، وتخليص العمل وتصفيته وتنقيحه من الشرك والشوائب.

وقد يعبر عن الإخلاص بالإبتغاء أو النية أو الإرادة أو القصد .

والإخلاص والتوحيد والإفراد بمعنى واحد ومترادف.

ثانياً : إطلاقات الإخلاص ومعانيه:

المعنى الخاص: وهو المتعلق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الإطلاق جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء.

العام: والذي هو مرادف للتوحيد ويتعلق بأصل الإيمان ويكون مقابلا بهذا المعنى جميع أنواع الشرك بل والكفر والنفاق: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢ .

ثالثاً : حكم الإخلاص ومنزلته ومكانته: الإخلاص ركن الدين القويم ولا يقبل عمل ولا عبادة إلا إذا كانت خالصة لله وحده.وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ .

رابعاً : الإخلاص له مراتب يتفاوت الناس فيها ، فمنه الأصل الذي لا يصلح الإسلام إلا به ومنه الكمال الذي لا يزول الإسلام به.

خامساً : القوادح في الإخلاص:

١- قوادح تنقض أصل الإخلاص وتزيله بالكلية وهو الشرك الأكبر.

٢- قوادح كمالية تنقص كمال الإخلاص إلا أنها لا تزيله ولا تبطله.

سادساً : قد تتحول العادات لعبادات بالنية والعكس قد يحصل أيضا.

المسألة الثالثة : الحكمة من خلق الخلق :

الأولى : عبادة الله وحده ، والدليل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

الثانية: معرفة الله ﷻ والعلم به،الدليل قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ الطلاق١٢ .

المسألة الرابعة : المقصود بالعبادة التوحيد :

وتوضيح قول المؤلف: (ومعنى يعبدون: يوحدون):

هنا قاعدة لا بد أن يعلمها كل مسلم وهي أن الألوهية لا تصح والعبادة لا تقبل إلا بالتوحيد وهذه القاعدة من أعظم ما بعثت به الرسل فإن عبادة الله لا تنفع إذا لم تكن لله وحده واجتنب العابد الشرك وتبرأ منه وكفر بكل معبود سواه.

قال ابن عباس ﷺ في قوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال: إلا ليوحدون . وقال : ما جاء الأمر بالعبادة إلا وأريد بها التوحيد .

المسألة الخامسة : حقيقة التوحيد والشرك في قول الإمام:

(وأعظم ما أمر الله به: التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة .

وأعظم ما نهى عنه: الشرك، وهو دعوة غيره معه).

والآن وقت الشروع في بيان التوحيد وحقيقة الشرك .

كل منهما في مبحث نبين فيه مسائله .

مبحث : حقيقة عقيدة التوحيد

قوله: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة) .

المسألة الأولى: تعريف التوحيد في اللغة : التوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً.

ومعناه الإفراد والتمييز والاختصاص وما لا ثاني له ولا مثيل .

ومن الألفاظ المرادفة للتوحيد : **الإخلاص والتجريد والإفراد .**

والتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على ما يقوم على الحصر النفي والإثبات، فلا يسمى الشيء إفراداً أو توحيداً إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (٢) : **التوحيد على وزن تفعيل وهي صيغة تستعمل للنسبة لا للجعل :**

أي نسبة الوحدانية واستحقاق العبادة والربوبية لله الواحد الأحد ، وتجعل المعبود واحدا فلا تجعل نداً مع الله وتنسب الشريك له . بمعنى أنك تجعل العبادة لله وحده لا أنك جعلت الله مستحقا للتوحيد لأن الله الذي جعل لنفسه ذلك فهذا من لوازم ذاته .ومثله التصديق والتكذيب فهو نسبة الصدق والكذب للمتكلم ممن سمعه ، لا أنك جعلت المتكلم صادقا أو كاذبا فالمتكلم الذي يجعل نفسه كذلك

م (٣) : نسبة التوحيد تكون بالاعتقاد والعمل ، وذلك بجعل المعبود واحداً اعتقاداً وعملاً، وضده الشرك يكون بالاعتقاد والعمل وذلك بإشراك آلهة مع الله.

م (٤) : **التوحيد والشرك صفة العبد :**

التوحيد صفة للعبد وهي نسبة الوحدانية وجعلها لله وحده ، والشرك ضد ذلك بجعل شريك مع الله ونسبة استحقاق العبادة لأكثر من واحد أما صفة الله فهي الوحدانية والتوحيد ليس صفة لله وإنما صفة للعبد .

فائدة : الجعل أثبتته النصوص للعبد : والجعل يتعلق بالتوحيد والشرك :

جعل التوحيد: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ .والجعل الشركي: (يجعل لله نداً) البخاري .

م (٥) : تعريف التوحيد الاصطلاحي :

التوحيد شرعا : هو إفراد الله ﷻ بكل ما يستحقه وما يخصه .

والذي يستحقه ﷻ ويجب أن يوحد فيه ، وحقه الذي يختص به ثلاثة أمور :

الأول: العبادة من التعظيم والمحبة والذل له والخضوع والطاعة والالتجاء.

الثاني: الربوبية والأفعال الخاصة به كالخلق والرزق والتدبير والإماتة.

الثالث: إثبات صفات الكمال لله والذي تفرد به، وتنزيهه عن النقص .

فالتوحيد : إفراد الله بالألوهية وبالربوبية والأسماء والأسماء والصفات .

م (٦) : أساس التوحيد :

التوحيد العلمي (الربوبية) : أساسه قائم على إثبات الكمال لله .

التوحيد العملي (الألوهية) : أساسه قائم على تعظيم الله والذل له وحبه والخوف منه والتوجه لله وتجريد القصد والطلب والتعلق لله وتطويع الجوارح لله.

م (٧) : تفسير النبي ﷺ لشهادة التوحيد :

قال الرسول ﷺ في أركان الإسلام في الصحيحين: (بُني الإسلام على خمس :

ثم عبر ﷺ بعدة عبارات دالة على التوحيد كلها مترادفة وبمعنى واحد :

الأولى : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...).

الثانية : (على أن يوحد الله). كما في رواية.

الثالثة : (على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه) . كما في رواية.

الرابعة : (إيمان بالله ورسوله) . كما في رواية.

ففسر ﷺ هنا وفي حديث معاذ وجبريل وغيرها التوحيد بالشهادتين وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت وبالإخلاص وبالإيمان وبالإسلام.

وقد سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً. كما فسر الإسلام والإيمان بالتوحيد والشهادتين والإخلاص وعبادة الله وترك الشرك والكفر بالطاغوت.

ففسر الإسلام بالإيمان وبالتوحيد . وفسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .

م (٨) : المصطلحات المفسرة والمرادفة للتوحيد .

الشهادتان ، الإيمان ، الإسلام ، العبادة ، الكفر بالطاغوت ، الإخلاص .

م (٩): ورود التوحيد في النصوص :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾البقرة ١٦٣ ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

ومن أسماء الله تعالى : الواحد ، الفرد ، الأحد.

ومعناه :أنه هو وحده ﷻ إله واحد لا ثاني له ، ولا شريك، ولا مثيل .

وجاء التصريح بلفظ التوحيد في السنة من ذلك:

قول الرسول ﷺ لعمر ﷺ : (أما أبوك فلو كان أقر **بالتوحيد** فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) رواه أحمد وصححه الألباني .

وحديث جابر ﷺ في مسلم: (فأهل **بالتوحيد** لبيك اللهم لبيك).

وعند أبي داود من حديثه:قرأ فيهما **بالتوحيد** وبـ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾.

فسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تسمى سورة الإخلاص وسورة التوحيد .

وصرح السلف باسم التوحيد فألف ابن خزيمة وابن مندة كتاب التوحيد.

م (١٠) : الفرق بين الربوبية وتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الألوهية :

الربوبية والألوهية صفات لله، والتوحيد والشرك فيها صفات للعبد .

والفرق بين العبادة وتوحيد العبادة : أن العبادة هي القربة والطاعة وفعل العبادة. والتوحيد أن لا تصرف هذه القربة والعبادة لغير الله ﷻ.

م (١١): **فائدة لغوية:** لا يصح أن يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والصحيح قولنا الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية .

وعلة ذلك : أن التوحيد يقابل الشرك ولا يجتمعان، فالتوحيد لا يتعلق به الشرك وإنما يتعلق بالعبادة والألوهية والربوبية، أما من وحد وأتى بالتوحيد فلا يقال أشرك في توحيده وإنما أشرك في عبادته . ويصح أن يقال الكفر بالتوحيد .

م (١٢) : فضل التوحيد ومكانته وأهميته وثمراته :

التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولا يدخل الإسلام إلا به ولا يعصم الدم والمال إلا هو ولا يدخل أحد الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه ولا تقبل العبادات إلا به . ولم يخلق الله الخلق إلا ليوحدوه في العبادة . وله فضائل كثيرة لا يمكن حصرها منها أنه يقوي القلب ويشرحه ويسعده ولا تحصل السعادة والأمن إلا به كما أنه يربي على محبة الله وفعل الخير وكره الشر والبعد عنه والتقرب إلى الله والصبر.

م (١٣): وجوب تعلم مسائل التوحيد وحقيقة الشرك وأسبابه :

يجب على كل مسلم أن يعرف التوحيد الذي أمرنا الله به، ويعرف الشرك الذي ينقضه ويسعى حثيثا في تعلم كل ذلك، وهذا حصن للمؤمن فإذا علم بالشرك اجتنبه، ألا ترى أن بعض الصحابة ﷺ حين جهلوا حقيقة الشرك وكانوا حديثي

عهد بكفر طلبوا التعلق بالأنواط ومثلهم عدي في شرك الطاعة وذلك لعدم معرفتهم بحقيقة الشرك، فأنكر عليهم ﷺ، ولذا ينبغي للمسلم معرفة الشر ليتقه.

هذا وقد كثر في المعاصرين الجهل بحقيقة الشرك، فلم يفهموا ما هو الشرك الذي حرمه الله تعالى والذي لا يغفره، وكثرت عندهم الشبه حول الشرك وحقيقته والسبب في عدم مغفرة الله تعالى لصاحبه . فظنوا أن دعاء الأموات واتخاذ الوسائط وطلب الشفاعة ليس بشرك،وظن آخرون أن الحكم بالقوانين والتشريع ليس شركا.

م (١٤): أركان التوحيد :

التوحيد قائم على ركنين النفي والإثبات : وهما ركنا شهادة أن لا إله إلا الله .

الركن الأول : النفي والإنكار: وهو الموجود في (لا إله) .

وهو نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله ﷻ والكفر بعبادة من دونه، والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله، وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة . وأيضا نفي الربوبية والكمال والربوبية والتعظيم عن كل مخلوق .

الركن الثاني الإثبات : وهو الموجود في : إلا الله .

إثبات العبادة والدين والألوهية والربوبية والكمال لله وحده دونما سواه.

وليعلم أن ذلك مشتق من أصل اللغة فالتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفي والإثبات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر .

فالتوحيد له ركنان هما الإثبات والنفي، فلا يسمى الشيء مفرداً أو إفراداً أو توحيداً أو تجريدا أو إخلاصا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (١٥): أركان التوحيد من حيث محله وآلته:

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بالإقرار بوحدانية الله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادات القلبية كمحبته ومهابته والذل له والخضوع له وتعظيمه .

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد وذكر الله وسؤاله .

الركن الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام له ﷻ بالتوحيد بالبدن .

م (١٦) : أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد إلى أقسام باعتبارات : ومثله الشرك الذي هو ضد التوحيد .

التقسيم الأول : ينقسم باعتبار آلاته وأركانه إلى عملي واعتقادي وقولي .

١ - التوحيد القولي اللساني :

قول لاإله إلا الله ودعاء الله وتسبيحه والحلف به والإقرار بتوحيد الربوبية له.

٢- التوحيد الاعتقادي الباطني القلبي : (قولي وعملي)

الاعتقادي القولي المتعلق بقول القلب: التصديق والمعرفة بالله واليقين بالله .

الاعتقادي العملي المتعلق بعمل القلب: كالمحبة والخوف والتوكل والتعظيم.

٣- التوحيد العملي الظاهر المتعلق بالجوارح: كالقيام والسجود والذبح .

ويلاحظ أن هذا التقسيم راجع لأفعال العباد .

التقسيم الثاني: أقسامه باعتبار نوعه وجنسه :

١ - توحيد الألوهية ٢ - توحيد الربوبية ٣- توحيد الأسماء والصفات .

والبعض يسمي الثاني والثالث بالتوحيد العلمي الخبري أو المعرفة والإثبات .

ويقصد بالعلمي الخبري المتعلق بـالعلم والخبر وبالمعرفـة معرفـة الـرب ﷻ وبالإثبات إثبات أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله .

والبعض يضيف على الأنواع الثلاثة توحيد المتابعة وتوحيد الحاكمية.

وفصلنا القول في ذلك في كتابنا حقيقة عقيدة التوحيد .

التقسيم الثالث : أقسامه باعتبار من يقوم به ويتعلق به .

توحيد متعلق بالله وهو الخاص بصفاته تعالى وأفعاله ووحدانيته القائمة به .

توحيد متعلق بأفعال المخلوق وهو أن يعبد الله وحده .

فلا يقوم في قلبه وجوارحه تعظيم وذل وخضوع لغير مولاه المنعم عليه وربـه المتفضل عليه والمحسن إليه والقادر على نفعه وضره والقائم على مصالحه .

التقسيم الرابع : وينقسم باعتبار من يتصف به :

١- توحيد المرسِل:وهو الله ﷻ ، وتوحيده يكون في ألوهيتـه وذلـك بعبادتـه وحده، وفي ربوبيته وأفعاله وأسمائه وصفاته،وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢- توحيد المرسَل: وهو الرسول ﷺ : ويسمى توحيد المتابعة .

وذلك بإتباع الرسول ﷺ وطاعته وتحكيمه وتقـديم أمـره وتصـديقه ومحبتـه، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

التقسيم الخامس: ينقسم باعتبار أهميته إلى توحيد كمال وتوحيد أصل .

م (١٧) : **وجه انحصار التوحيد في ثلاثة أنواع** : أن مـا يختص بـه الله وحـده ويعتبر حق له لا يشاركه أحد فيه وصفة لازمة له ، لا يخرج عن ثلاثة أمور :

الأول : تفرده بالربوبية فلا رب للعالمين إلا هو ولا خالق ولا مالك ولا مدبر ولا رازق غيره ﷻ وهذا أحد الأمور التي استحق أن يوحد سبحانه فيها .

الثاني : تفرده بالألوهية وكونه وحده المستحق للعبادة دونها سواه، فلا يشاركه أحد في هذا الحق، فلا يوجد من يستحق أن يعبد، لأن استحقاق العبادة لا تكون إلا لمن هو كامل في ذاته وفي صفاته غني عن كل شيء قادر يملك النفع والضر وليست هذه الصفة لأحد غير الخالق سبحانه فمن خلق وملك كل شيء وجب أن يُعبد، وكان استحقاق العبادة صفة لازمة له لكمالة وتفرده بذلك .

الثالث : تفرده بصفات الحسن والكمال والجمال والجلال، فله وحده الأسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى، لا يشاركه أحد وغيره مخلوق ضعيف فقير محتاج.

م (١٨) : تقسيم التوحيد أمر استقرائي دلت عليه النصوص:

كما قررنا أن لفظ التوحيد مصطلح شرعي ، فكذلك أقسامه هي الأخرى شرعية سلفية ليست بدعية خلفية كما يقول المبتدعة، وليست من مخترعات ابن تيمية كما يزعمون بل وردت هذه الأقسام عند السلف في القرون المفضلة وسيأتي كلامهم.

أولاً : دل على أصل هذا التقسيم القرآن والسنة .

ومن الآيات الجامعة لأنواع التوحيد والدالة على التقسيم :

الأولى: سورة الفاتحة فيها تقرير لأقسام التوحيد قال تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

الثانية: قوله في سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

الثالثة: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم .

الجملة الأولى: دلّت على توحيد الربوبية وهي التي وردت في:قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

الجملة الثانية: دلّت على توحيد الألوهية والعبادة وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾.

الجملة الثالثة دلّت على توحيد الأسماء والصفات وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

ثانياً: ورود تقسيم التوحيد في كلام السلف وأهل العلم:

كما أنه قد وردت لغة تقسيم التوحيد على لسان السلف وكلامهم ومن ذلك .

قال أبو حنيفة في الفقه الأبسط : (والله يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء) .

وروى ابن مندة في كتابة التوحيد عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قوله :(إنما دل الله ﷻ خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه).

قال أبو جعفر الطحاوي (ت:٣١١) في عقيدته :(نقول في توحيد الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) .

قال ابن بطه (ت:٣٩٧) في الإبانة:(الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده ثلاثة أشياء: أن يعتقد ربانيته، أن يعتقد وحدانيته، أن يعتقده موصوفاً بالصفات).

قال ابن حبان بالروضة:(الحمد لله المنفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية)

قال ابن كثير عند آية قل من يرزقكم: (احتج على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته) .

وقال المقريزي الشافعي في كتابه التوحيد : (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا به ..وإنما أنكروا توحيد الألوهية).

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : (التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الصفات، الثاني: توحيد الربوبية، الثالث: توحيد الألوهية وهو استحقاقه أن يعبد).

وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد : (الحمد لله الذي لا يقبل توحيد الربوبية من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد).

فهذه بعض النقولات والنصوص الصريحة في أنواع التوحيد الثلاثة الصفات والربوبية والألوهية . من علماء الأمة من القرون المفضلة ومن بعدهم من جميع المذاهب وفي هذا رد على من شكك في تقسيمنا للتوحيد وزعم ابتداعنا له .

م (١٩): التوحيد أصل وكمال :

مطلق التوحيد أصله. المصحح للإيمان والإسلام: وهذا المعتبر بدخول الجنة والمنجي من النار والفاصل بين المسلم والكافر وهو مقتضى الشهادتين والإيمان بالله.

كمال التوحيد المطلق : وهذا يتفاضل الناس فيه وتاركه يعتبر موحداً لا كافراً وهو على درجات منه الواجب الذي يعاقب مخالِفُه مع بقاء الإسلام ومنه المستحب.

م (٢٠) : قوادح التوحيد ونواقضه :

القسم الأول: ماينقض التوحيد من أصلة ويزيله بالكلية، وهو الشرك الأكبر.

الثاني: ماينقصه ويقدح في كماله لكن لا يبطله وهو الشرك الأصغر والمعاصي.

والقاعدة:أن الشرك الأكبر لايجتمع وجوده مع وجود الإيمان وأصل التوحيد.

أما الأصغر فلا ينافي أصل التوحيد ولا ينقضه وإنما ينقص كماله الواجب .

م (٢١) : ما يضاد التوحيد : الشرك ينقض التوحيد، ويكون بأحد طريقين : إما بنفي ما أثبته الله تعالى لنفسه ، أو بإثبات ما نفاه الله. وسيأتي بحث الشرك.

م (٢٢) : تعلقات التوحيد والشرك :

١- يتعلق التوحيد بالله .فيقال توحيد الله والشرك بالله .

٢- ويتعلق بالالوهية والربوبية والأسماء والصفات .

فيقال توحيد الألوهية وشرك الألوهية ومثله الربوبية .

٣- ويتعلق بالعبادة . فيقال توحيد العبادة لله والشرك في العبادة .

٤- ويتعلق بالإسلام . فيقال توحيد الإسلام لله .

وجاء الأمر بالتوحيد في الإسلام في قوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ .

٥- ويتعلق بالدين . فيقال توحيد الدين لله ﴿ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ .

٦- ويتعلق بالشريعة ويأتي الشرك في التشريع ﴿ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾.

٧- ويتعلق بالرسول . فيقال توحيد الرسول بالمتابعة كما سيأتي في فصله.

٨- ويتعلق بالإيمان . فيقال توحيد الإيمان بالله.﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

٩- ويتعلق التوحيد والشرك بالانقياد والطاعة .

ويتعلق التوحيد بالحكم والمحبة والدعاء والخلق والأمر والتدبير وبقية أفعال وأفراد الألوهية والربوبية والصفات .

م (٢٣) : الحنيف هو من أتى بالتوحيد و ترك الشرك عن قصدٍ وعلم:

مجرد ترك الشرك من غير قصد وتعمد تركه لا يكفي بمفرده في الدخول في الإسلام، فلا بد من ترك الشرك قصدا ومن الكفر به والبراءة منه ومعاداة أهله.

قال ابن كثير في تفسير ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ : (الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركاً له عن بصيرة) . وقال(المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد) .(ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده راد) .

فمن ترك الشرك وفاقاً وعادة من غير قصد فهذا لا يصدق عليه أنه اتبع ملة إبراهيم الذي صرح بالكفر بالطاغوت وصدع بتكفير أهله عالما عامدا .

م (٢٤) : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها :

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيء من الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه).

وقال أيضا فيه: (أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بلا إله إلاَّ الله) .

م (٢٥) : لا يقوم التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت :

الكفر بالطاغوت أحد ركني لا إله إلا الله ، وقد دلت عليه كلمة التوحيد.

ووجه ذلك أن التوحيد له ركنان :

الأول : عبادة الله . الثاني : الكفر بالطاغوت والبراءة منه .

والطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راض وكل متبوع أو مطاع أو متحاكم إليه من دون الله قال سبحانه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦ وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وعبادته

لأن عبادة الله لا تقبل ولا ينظر إليها إذا لم تكن له وحده وليس لله فيها شريك، وقارنها الكفر بكل معبود سواه ﷻ .

م (٢٦) : التوحيد هو حقيقة لا إله إلا الله :

شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وهي نفس قولنا التوحيد فهما كلمتان مترادفتان . قال ابن تيمية عن لا إله إلا الله أنها: عنوان التوحيد .

لأن لا إله إلا الله دلت على التوحيد لكونها قائمة على الحصر، الذي هو النفي والإثبات وهذا هو التوحيد، فلا يسمى الأمر توحيداً إلا إذا كان فيه أسلوب الحصر النفي والإثبات، نفي الألوهية والعبادة عن كل من سوى الله ﷻ ، وإثباتها لله وحده لا شريك له وحصرها عليه .

هذا وقد دلت كلمة التوحيد لا إله إلا الله على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة .

م (٢٧): الأصل هو التوحيد والشرك طارئ في الخليقة :

خلق الله ﷻ الخلق على عبادته وطاعته وتوحيده فكان الناس أمة واحدة على التوحيد قبل أن يختلفوا ويدخلهم الشرك ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ يونس: ١٩ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) . رواه مسلم.

م (٢٨) : **تعريف المخالفين للتوحيد:**

الفرق الضالة تفسر التوحيد بما تعتقده من باطل :

التوحيد عند الاتحادية والحلولية وأهل الوحدة:أن يكون الله عين كل موجود.

التوحيد عند المعطلة الجهمية بفرقها من معتزلة وأشاعرة: إنكار صفات الله.

والتوحيد عند القدرية : إنكار قدر الله وخلق أفعال العباد .

والتوحيد عند الجبرية : إنكار أن يكون للمخلوق تأثير وللأسباب حقيقة.

التوحيد عند المرجئة : مجرد ما في القلب من اعتقاد الربوبية في الله .

التوحيد عند الصوفية والقبورية والرافضة : هو اعتقاد أن الله هو الخالق. والشرك في اعتقاد أن يكون المخلوق خالق له التأثير والاستقلال من دون الله.

قال ابن سريج الشافعي : (التوحيد عند أهل العلم وجماعة المسلمين : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وتوحيد أهل الباطل : الخوض في الأعراض والأجسام) . نقله عنه الهروي في ذم الكلام .

هذا تعريف التوحيد وحقيقته عند المبتدعة، فالشرك عندهم توحيد والتوحيد شرك وقد بينا ذلك في شرح النواقض ، كما زعموا أن النبي ﷺ لم يفسر التوحيد.

قال المزني : سمعت الشافعي يقول : (سئل مالك عن التوحيد . فقال مالك: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد . فالتوحيد ما قاله النبي ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) أخرجه عنهم الهروي في ذم الكلام والسلمي في ذم الكلام .

تنبيه : مما أجمعت عليه الطوائف الصد عن التوحيد وحرب أهله ومعاداتهم .

مبحث : حقيقة الشرك

قوله: (وأعظم ما نهى عنه : الشرك) .

المسألة الأولى : تعريف الشرك في اللغة:

الشرك : الضم والخلط والاقتران، ضد الفرد والوتر والوحدانية والتفرد.

م (٢) : تعريف الشرك شرعاً :

صرف العبادة لغير الله من دعاء وغيره، بأن تجعل لله نداً في العبادة .

وعُرّف أيضاً بأنه : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

فيدخل في هذا التعريف الشرك في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

وعُرّف بأنه : تشبيه المخلوق بالخالق والعكس .

قال ابن القيم : حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به .

وهذا التعريف يدخل في عموم الثاني، لأن التشبيه هو بمعنى التسوية .

تنبيه : أما تعريف الشيخ هنا في الأصول الثلاثة بأنه : دعوة غيره معه .

فهذا من التعريف بالمثال وببعض الأفراد، أو أنه قصد بالدعاء معناه العام العبادة .

م (٣) : ما يضاد التوحيد : الشرك ضد الوحدانية والإشراك ينافي الإفراد والتوحيد فالشرك من الجمع والتثنية والتشريك والخلط والضم نقيض التوحيد.

والشرك يكون بأحد طريقين : إما بنفي ما أثبته الله لنفسه، أو بإثبات ما نفاه.

والشرك هو ضد التوحيد: وليس التشبيه ووجه ذلك :

أن التشبيه داخل في الشرك ، والشرك قسمان التعطيل والتشبيه ، بتعطيل الله من ربوبيته وألوهيته، أو إثباتها لغيره، وكلاهما يناقض التوحيد .

م (٤) : هل التوحيد والشرك من المتناقضات أو المتضادات :

الضدان لا يجتمعان لكن قد يرتفعان، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان .

وإذا قلنا أن الشرك بمعنى الكفر فهو نقيض التوحيد .

وإذا خصصنا الشرك بعبادة غير الله فهو ضد الشرك وليس نقيضه، لأنه بهذا المعنى قد يتصور ارتفاعهما في حق الكافر فلا يقوم بالعبادة مطلقا لا يوحد ولا يشرك.

م (٥) : يتعدى الشرك بنفسه وبالباء وبمع وبفي وباللام.

فيصح أن يقال : أشرك مع الله / أشرك بالله / أشرك بعبادة الله/ أشرك في عبادة الله / جعل شريكا لله/ عبد غير الله / عبد من دون الله / عبد مع الله / جعل مع الله شريكا. وكلها بمعنىً متقارب إن لم يكن معناها واحد.

ومعنى (من دون): أي متجاوزين الله إلى عبادة غيره. ولها معنى آخر : وهو الدونيّة أي أن هذه المعبودات دون الله وليست في منزلته تقدس وتعالى.

م (٦) : أدلة تحريم الشرك وكفر فاعله : قال الله تقدس وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨ وهذا الدليل من أصرح الأدلة على أن الشرك أعظم ذنب عصي الله به ومن شناعته أن الله لا يغفره .

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ النساء: ٣٦ .

﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الزمر: ٦٥.

﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٨٨.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢.

وقال النبي ﷺ : (من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) رواه البخاري .

م (٧) : مصطلحات في باب الشرك :

أولاً: يسمى المعبود: الإله ، الرب ، الولي ، الشفيع ، المقرب ، الند ، الوثن ، الصنم ، التمثال ، الشريك ، الشركاء .

ثانياً : تسمى عبادته : التوجه، القصد، الإرادة، الطلب، الجعل، الاتخاذ، الابتغاء، الإسلام، الإلحاق. هذه عبارات شرعية معناها في اللغة صرف العبادة .

ثالثاً : الشرك في العبادة عبر عنه بعدة ألفاظ منها :

التنديد – العدول – التسوية – الأمثال – الكفء .

م (٨) : مصطلح الشركاء: تطلق الشركاء وتضاف للعابد والمعبود :

وجه اختلاف الضمائر: (شركاء شركائي شركائكم شركائهم شركائنا):

أولاً : معنى شركائكم :

١ - لأنها شركاء العابد المشرك في الشفاعة ، فهي تشفع معه وتشفعه . فهي شركاء في طلب الشفاعة عند الله والتقريب عنده .

٢- لأنها شركاء المشرك في الخلق والعبودية وحاجتهم لله الخالق .

ثانياً : معنى (شركائي) أضاف الله تعالى الشركاء إلى نفسه لعدة أوجه :

١ - حكاية لإضافتهم، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

٢- ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم .

٣- شُرَكَائي في زَعْمِكُمْ واعتقادكم أيها المشركون فيها الشفاعة .

فائدة : لابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي وإغاثة اللهفان كلام نفيس في تعريف الشرك وأقسامه وعلة كونه أعظم الذنوب وهو في غاية الأهمية، فراجعه.

م (٩) : أسماء الشرك والألفاظ التي تطلق عليه :

١ - التنديد: هو بمعنى الشرك والند هو الشريك: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة:٢٢ أي شركاء تعبدونهم من دون الله وتجعلونهم أنداد لله تعبد وتساوونها به ﷻ.

٢- العدول: يسمى الشرك عدولاً، لأن فاعله أولاً عَدَل عن الرب ﷻ وترك عبادته إلى عبادة غيره ثانياً أنه عدل بينهما أي ساوى بينهما واتخذ المشرك إلها يعبده غير ربه ﷻ قال تعالى : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل ٦٠.

٣- التسوية: يسمى الشرك تسويةً، لأن المشرك سوّى بين الخالق والمخلوق قال تعالى حاكيا قول المشركين: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء٩٨. فهم لم يسووا بين الرب والآلهة الباطلة من كل وجه وإنما كانت التسوية في دعائهم ومحبتهم مع الله.

٤- الأمثال: بجعل معبودات مع الله تكون مثل الله قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ النحل: ٧٤ أي تمثلوه بخلقه وتمثلوا خلقه به، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى ١١.

٥- الكفء: بمعنى المثل والند والشريك ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

٦- الإلحاد: الشرك أحد درجات الإلحاد والإلحاد داخل في الشرك وبينهما ترابط: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

م (١٠) : أقسام خصائص وحقوق الله تعالى التي لا يشاركه فيها أحد:

الأول : أفعاله وأوصافه . الثاني : ألوهيته وعبوديته.

وعلى هذا فالشرك ينقسم بالرجوع إلى منازعته تعالى ما يخصه إلى:

شرك في الربوبية ، وشرك في الألوهية ، وشرك في الأسماء والصفات .

وهذه الثلاث هي خصائص الله ﷻ التي يجب أن يوحد بها ولا يشرك فيها.

م (١١) : **علاقة الشرك بأنواع الكفر** :

الكفر له خمسة أنواع وهذه الأنواع في الحقيقة هي صفات لحال الكفر فالكفر إما أن يكون إعراضا أو عنادا واستكبارا وإباء وامتناعا أو شكا أو نفاقا أو تكذيبا وردا وجحودا أو ردة عن الدين، والشرك قد يكون صفته وسببه بأحد هذه الأنواع.

م (١٢) : **الفرق بين الكفر والشرك** : اختلف أهل العلم واللغة على أقوال :

القول الأول : أنهما بمعنى واحد فكل كفر شرك والعكس.

القول الثاني : أن الكفر أعم من الشرك فالكفر خصال كثير منه الشرك ومنه تكذيب الأنبياء وإنكار المعاد أو الملائكة وجحد الواجب واستحلال المحرم .

والصحيح أن الشرك له إطلاقان : إطلاق عام : وهو مرادف لنفس الكفر.

وإطلاق خاص : وهو عبادة غير الله وهذا الغالب .

م (١٣) : **أنواع الشرك وأقسامه** :الشرك ينقسم إلى أقسام باعتبارات :

الاعتبار الأول: باعتبار خطره : فينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

الثاني: باعتبار نوعه: إلى شرك في الألوهية وشرك الربوبية وشرك الصفات.

الثالث : باعتبار ظهوره وخفائه : إلى شرك ظاهر وباطن وخفي .

الرابع : باعتبار الآلة : فينقسم إلى شرك فعلي وشرك قولي وشرك اعتقادي.

الخامس: شرك تعطيل وسلب وإنكار، وشرك تنديد وتمثيل وإيجاد وإثبات.

م (١٤) تنبيه: من جعل الشرك أربعة:شرك الدعوة والمحبة والإرادة والطاعة.

إنما أراد الأمثلة وليس التقسيم لأن من الشرك شرك الخوف وشرك الحكم وشرك الربوبية وغير ذلك من الأنواع .وأخطأ من ظن أن هذه أقسام الشرك .

م (١٥) : الشرك لا يحصيه إلا الله ، وكثرة النوازل المعاصرة فيه:

قال ابن القيم أن للشرك صور متعددة وألوان مختلفة لا يحصيها إلا الله.

ويحصل ويتجدد فيكون له نوازل معاصرة كلها تصب في الكفر بالله ﷻ .

وأكثره انتشاراً : عبادة غير الله ودعاء الأموات ، والحكم بغير ما أنزل الله .

م (١٦) : درجات الشرك ومخالفات التوحيد :

١ – إنكار وجود الله سبحانه بالكلية.

٢ – إنكار ربوبية الله ﷻ مع الإيمان بوجوده وهذا مذهب الفلاسفة الذين يقولون الله لا يخلق ولا يتصف بفعل أو صفة وإنما هو علة المعلول ، وكذا الجهمية الذين ينكرون أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٣– الإيمان بربوبية الله لكن من دون توحيده ﷻ فيها ، فيقولون الله خالق مدبر مالك، ولكن يوجد غيره من المخلوقين ممن له صفة الربوبية فيخلق ويدبر.

٤ – من يؤمن بتوحيد الربوبية لله ولكن يقع في الشرك في بعض أفرادها كالشرك في التشريع والحكم أو يحصل منه ما يقدح فيها أو ينقص كمالها.

٥ – من يثبت توحيد الربوبية لله ﷻ ويؤمن به لكن ينكر الألوهية فلا يعبده.

٦ – من يثبت الألوهية لله ولكن لا يوحد الله فيها فيشرك غيره مع الله وهذا دين معظم المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى .

٧– من يؤمن بتوحيد الألوهية ويثبته لله وحده لكن يقع فيها يقدح في كماله أو يخالف في بعض أفراده ومن هؤلاء أصحاب الشرك الأصغر .

م (١٧) : اجتماع التوحيد والإيمان مع الشرك :

توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

الإيمان والشرك هنا لهما معنيان : والآية فيها تأويلان للسلف :

الأول : المراد بالإيمان هنا توحيد الربوبية والإيمان بكون الله خالقا ، والشرك هو الشرك في الألوهية فلا يقبل هذا الإيمان ولا يعتبر به ولا يصح ولا يسمى إيمانا من حيث الإطلاق الشرعي، وذلك لعدم وجود التوحيد فيه واقتران الشرك به .

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض قالوا الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه).

وقال مجاهد : (إيمانهم قولهم الله خالقنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره).

الثاني : الإيمان هنا هو الأصلي والشرك المقصود به الأصغر . فيكون المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان الشرعي المقبول والمقترن بتوحيد الربوبية الألوهية ويكون الشرك المقصود به في الآية الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وكيسير الرياء وإسناد النعم لغير الله وشكر الناس على ما أنعم الله به عليهم.

م (١٨) : يشهد المشرك بالتوحيد في حالات :

١- يشهد بنوع من التوحيد وهو الربوبية في الجملة.

٢- قد يوحد المشرك في حال الشدة والخوف ويشرك في الرخاء والأمن.

٣- التوحيد في بعض العبادات، فقد تجد شخصا يشرك في جانب ويوحد في جانب ، فيوحد في الحكم ولكن يدعو غير الله ﷻ أو يكون العكس .

م (١٩) : **أسباب الوقوع في الشرك وبقائه :**

١ - الجهل بحقيقة الدين وما أمر الله به وما نهى عنه، والجهل بمعنى العبادة التي هي حق خالص لله والتوحيد والشرك فيها .

٢- سوء الظن بالله عز وجل وعدم تقديره سبحانه ولا معرفة صفاته العلية، فالمشرك يقيس ربه بالمخلوق الضعيف الذي يحتاج لواسطة تقرب وتشفع.

٣- الغلو في الصالحين وفي المخلوقات فترفع عن مرتبتها ومنزلتها ويشبه المخلوق بالرب. وأول شرك وقع في هذه الأرض شرك قوم نوح ، وكان سببه الغلو في الصالحين وطلب الشفاعة منهم والتقرب بهم إلى الله .

وهناك أسبابا فرعية خاصة : وهي داخلة في جملة الأسباب السابقة فمنها:

١ - إتباع الهوى والشهوات واستمتاع المشرك بشركه.

٢- الكبر والعناد والإباء والاستكبار .

٣- التقليد وتحكيم العادات واتباع المألوف وعدم النظر في الدليل .

٤ - انتشار البدع ورواسب الأديان الكافرة والوثنية .

٥ - عدم التدبر والاعتبار والنظر في الحجج العقلية والنقلية والفطرية.

٦- انتشار وسائل الشرك مع عدم إنكارها وإزالتها .

٧- مشابهة اليهود والنصارى تناقل الثقافات الكافرة وحوار الحضارات.

٨- قياس المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق .

٩- وجود الطغاة من الحكام وعلماء السوء المشركين الداعين للشرك .

م (٢٠) : **وسائل الشرك وذرائعه وأبوابه:**

الوسائل هي بمعنى الذرائع ، والله ﷻ إذا حرم شيءً حرم الطرق الموصلة إليه والوسائل المفضية إليه . ومن مقاصد الشريعة وأبواب الدين سد الذرائع ، فالأفعال إذا كانت مباحة لكن قد تفضي إلى محذور وجب سدها ودفعها وإغلاقها .

ومن وسائل الشرك :الغلو في الصالحين ، تعظيم القبور برفعها والبناء عليها والصلاة عندها، التصوير ، رعاية الآثار ، التبرك ، التمائم ، اعتقاد الأسباب المبتدعة، الأعياد البدعية ، شرك الألفاظ من الحلف وغيره ، التشاؤم ، جحد صفات الله ، الجزع من القدر ، سب أفعال الله، نسبة النعم لغير الله.

م (٢١) : تاريخ الشرك :

الأصل هو التوحيد والشرك طارئ في الخليقة ، حيث خلق الله ﷻ الخلق على عبادته وطاعته وتوحيده فكان الناس أمة واحدة على التوحيد قبل أن يختلفوا ويدخلهم الشرك كما جاء في الحديث القدسي قال الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) . رواه مسلم.

وقد بقي الناس بعد آدم على التوحيد زمناً حتى انتكست الفطر ودخلهم الشرك بعد مرور عشرة قرون من ذرية آدم . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) رواه الحاكم والطبري.

م (٢٢) : موقف الصوفية والقبورية والأشاعرة من التوحيد والشرك:

أخطأت القبورية والصوفية والمرجئة والمتكلمة في حقيقة الشرك من جانبين:

جانب التوحيد . وجانب الإيمان .

حيث أنكروه وأخرجوه من الإيمان، لأن الألوهية عمل والعمل عندهم خارج عن الإيمان وليس من الإيمان . إضافة على أنهم فسروا الألوهية بالربوبية .

وقد عقدت فصلاً في كتاب نقض عقائد الأشاعرة عن موقفهم من التوحيد .

م (٢٣) : حكم الجاهل بالتوحيد والواقع في الشرك جهلاً وهل يعذر :

من وقع في الشرك الأكبر عن جهل وعدم بلوغ الحجة :

فحكمه في الدنيا أنه كافر ويجري عليه أحكام الكفر من حيث الاسم ولحوق التكفير به والنكاح والميراث والصلاة عليه والإئتمام به.

أما قتاله وقتله فإن هذا لابد فيه من قيام الحجة والاستتابة .

أما في الآخرة فإن الله تعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة .

وقد أخطأ بعض العلماء هنا فحكموا بإسلام جهّال المشركين من القبورية والمشرّعين لكونهم نطقوا بالشهادة وجعلوا جهلهم وتأويلهم مانعا من تكفيرهم .

وعليه فالجاهل بالتوحيد ليس مؤمنا به ولا مقرا أو آتياً به لكن كافراً مشركاً .

م (٢٤) : تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسمى والحكم :

يسمي مشركوا زماننا دعاء الأموات والاستغاثة بالآلهة الباطلة توسلاً .

وطائفة من مشركي عصرنا تسمي شرك التشريع والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله نظاماً أو تنظيما إدارياً ونحو ذلك .ويتحاكمون للطاغوت ويشرعون ويحللون ويحرمون ويسمون ذلك انتخاباً وتصويتاً ونحو ذلك .

وكل ذلك لا يغير الحقيقة التي وضع الحكم لأجلها فتسمى هذه المعبودات آلهة ويسمى الفعل شركاً ويكفر صاحبه .

م (٢٥) : شرك التشريع والحكم والطاعة: شرك الحكم يشمل :

١- شرك التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين .

٢- شرك الحكم بغير ما أنزل الله .

٣- شرك الطاعة والتحاكم .

فائدة : وجه تخصيص هذا الشرك بالذكر :

١- لانتشاره في كثير من الناس.

٢- كثرة الشبهات والجهل فيه وأنه ليس بعبادة ولا يدخل في الشرك والكفر.

٣- دخوله في جميع أنواع الشرك .

مسألة : شرك الحكم يدخل في جميع أنواع الشرك :

أولاً: يدخل في شرك الربوبية والأسماء والصفات :لأن الحكم والأمر من أفعال الله الخاصة به . ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ الأنعام: ٦٢. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ .

ولذلك سمى الله تعالى من حكم وشرع وحلل وحرم ربا .﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١.

ثانياً: يدخل في شرك الألوهية: لأن الحكم والتحاكم والطاعة هي أفعال العباد وهي من الأعمال التي يحبها الله وداخلة في التذلل والخضوع والتعظيم والانقياد ويجب أن لا تكون إلا لله .﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠. وقد سما الله الحكم والتحاكم عبادة قال تعالى :﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠ .وجعل التحاكم لغيره وطاعته شركا قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١.

وعلى ذلك فمن حكم وشرّع فقد أشرك في الربوبية ومن تحاكم إلى ذلك المشرع وأطاعه واتبعه وانقاد له فقد أشرك في الألوهية .

والبعض يذكر أن شرك الحكم بغير ما أنزل الله داخل في شرك الطاعة وهذا ليس على إطلاقه فشرك الحكم أعم من شرك الطاعة لأنه يكون شركاً في الطاعة والتحاكم وشركاً أيضاً فيما يتعلق بالتشريع والحكم والتحليل والتحريم .

ثالثاً: يدخل في شرك التعطيل: فالحاكم عطل الله عن العمل بشرعه وحكمه .

رابعا: يدخل في شرك التمثيل: لأن الحاكم مثّل حكم المخلوق بحكم الله.

خامسا: كما أن فيه طعنا في الله ﷻ وطعنا في رسوله ﷺ وطعنا في الدين.

سادساً: يكون بالاعتقاد القلبي، ويكون بالقول، ويكون بعمل الجوارح.

لأجل كل هذا اعتبر الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم كافرا خارجا من الملة:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ النساء: ٦٥ .

﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

تنبيه: ذكرت شرك الحكم وخصصته بالبيان لانتشاره مع كثرة من خالف فيه .

وأخطره وأشنعه تشريع القوانين الوضعية المصادمة لأحكام الشريعة والحكم بها وتحكيمها والتحاكم إليها، وفعل ذلك كفر بذاته ولا يشترط في تكفير من فعله أن يستحل هذا الشرك أو أن يكون عالما بكونه من الكفر والشرك فيجب تكفير الحاكم المشرع ولا يجوز أن يعذر بجهل أو تأويل.وهناك كلام جيد نفيس لمحمد بن إبراهيم وأحمد شاكر وغيرهم في تكفير أصحاب القوانين والحاكم المشرك ولو لم يستحلوا .

باب الأصول الثلاثة

قوله : (فإذا قيل لك :
ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟
فقل : معرفةُ العبدِ ربَهُ . ودينَهُ ، ونبيَهُ محمدا ﷺ).

م (١) : **مصدر السؤال (فإذا قيل لك)** : قد يكون السائل أنت نفسك وأسلوب الحوار والمدارسة أحد طرق التعلم .وقد يكون السائل مناظر لك ومخاصم ، أو سائل مستفيد .كما أنه سيكون السائل الملكان في القبر .

م (٢) : **الأصل في هذه الأصول** :ذكرته في المقدمة وهو حديث فتنة القبر وسؤال الملكين، كما يستدل له بحديث رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا.

م (٣) : **معرفة الله ورسوله ودينه يدخل فيها أمور** :

لا يصح دين العبد إلا بعد معرفتها على الحقيقة وعمله بلازمها ومقتضاها ، وسبق أن ذكرتها مع مسألة كيفية تحقيق العلم بهذه الأصول في المقدمة الأولى .

راجعها عند شرحنا قول المؤلف : (العلم هو معرفة الله...) .

م (٤): **ورد في بعض النسخ المطبوعة عنوان: (الأصل الأول : معرفة الرب)**:

وهو ليس من وضع الإمام مؤلف الرسالة ، وإنما من اجتهاد النسّاخ .

م (٥) : **ما يتضمنه الإيمان بالله ومعرفته** :

الإيمان بوجوده وتوحيده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

الأصل الأول: معرفة الرب ﷻ

قوله: (فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله، الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته.

وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢.

وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف توحيد الربوبية وسنبينه بعدة مسائل.

مبحث : توحيد الربوبية

المسألة الأولى: تعريف الربوبية :

الربوبية: أصلها مأخوذ من اسم الرب .

وهي مشتقة من الفعل رَبَّ يرب . والياء والتاء في الربوبية للنسبة .

والمراد بالربوبية: الاتصاف بصفات الخلق والملك والتدبير، وأفعال الرب التي لا تنبغي لغير الله ﷻ. ولا تصلح لمربوب مخلوق مملوك مدبَر .

م (٢) : معنى توحيد الربوبية:

إثبات الربوبية لله وحده الخالق . ونفي الربوبية وأفعالها عن الخلق .

فيعتقد الموحد بالربوبية أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا مالك غير الله .

م (٣) : معنى توحيد الأسماء والصفات :

إثبات أسماء الله وصفاته لله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله .

ونفي ما نفاه الله عن نفسه . وعدم إثبات شيء من صفات الكمال للخلق .

م (٤) : معنى الرب :

قال الأزهري في تهذيبه: قال ابن الأنباري : الرب يطلق على ثلاثة معاني :

(١- المالك . ٢- السيد المطاع . ٣- المصلح).

وعلى ما تقدم فالربوبية لا تخرج عن ثلاثة معاني : **(الملك، الأمر، التدبير)** :

الأول : المالك .

الثاني : الآمر المشرع الحاكم والسيد المطاع سان الدين والمحلل والمحرم.

الثالث : المدبّر الخالق المصلح المربّي الراعي القائم على غيره والمتصرف فيه .

م (٥) : أسماء توحيد الربوبية :

١ – توحيد أفعال الرب . لأن الربوبية حقيقتها أفعال الله وصفاته .

٢– التوحيد الاعتقادي لأن محله الاعتقاد في مقابل العملي الذي هو الألوهية.

٣– التوحيد العلمي القائم على العلم بالله وأفعاله وصفاته .

٤– توحيد المعرفة والإثبات لأنه متعلق بمعرفة الله وإثبات الكمال في صفاته .

٥– التوحيد الخبري : القائم على الخبر والسمع .

٦– توحيد الوسيلة أي الوسيلة إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد الغاية.

م (٦) : أفعال الربوبية والأمثلة لها :

١ – الخلق : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ .

٢– فعل التدبير والتصرف في الأمر: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ يونس: ٣.

٣– الملك وتفرده ﷻ به: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ المؤمنون: ٨٨ .

٤– الإحياء والإماتة : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨

٥– البعث والحساب: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ يس ٥٢ ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾

٦– النفع والضر: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ الأعراف ١٨٨ .

٧– التصوير والإبراء والفطر: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤.

٨– النصر: ﴿ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ .

٩– الرزق: ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾.

١٠- الأمر والنهي والحكم والتشريع وسن الدين والتحليل والتحريم:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الشورى: ١٣ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ ﴾ المائدة: ٨٧ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣.

١١- الإنعام: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣

١٢- الإطعام والتأمين: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾.

١٣- علم الغيب: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٦٥.

١٤- القضاء والقدر والهداية والإضلال:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ المدثر: ٣١.

١٦- الاغناء والتمليك والإفقار: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ النجم: ٤٨.

١٧- المعافاة والشفاء: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: ٨٠.

ومن أفعال ربوبيته ﷻ الإعزاز والإذلال، وتصريف الأيام وإنشاء الليل وغشوه وتجلية النهار وتكويرهما وسلخ بعضهما من بعض، وإنزال المطر والإنبات.

وغير ذلك من أفعال الله ﷻ التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو، والتي مردها لصفة التدبير التي ترجع فيها معظم أفعال الرب ﷻ بما فيها الخلق، فكل يوم هو في شأن لا معقب لحكمه ولا راد لأمره سبحانه وبحمده.

م (٧) : ما تتضمنه الربوبية والأمور الداخلة في وجوب توحيد الربوبية:

أولاً : وجود الله ﷻ وكمال حياته وقيوميته.

ثانيا: أفعاله من الخلق والتدبير أو الإعداد والإمداد والإعدام وملكه لهم.

ثالثاً : أسمائه وصفاته وكماله وجلاله وجماله وتفرده بالكمال وحده.

رابعاً : قضائه وقدره ، ويرجع هو ومراتبه الأربع في الربوبية.

فقضاء الله وقدره هو فعل الله فهو حكم الله وتقديره وإرادته وخلقه وهذه أفعال راجعة للربوبية القائمة بالله ﷻ . كما أن مراتب القدر الأربع والتي هي : (العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق) هي صفات الله وأفعاله الراجعة للربوبية .

خامساً : شرعه وأمره وحكمه .

يدخل الحكم بما أنزل الله وامتثال أمره والعمل بشرعه في الإيمان بالربوبية، وهذا الأمر لا يخفى، لأن الحكم والأمر وتشريع الدين وسن الشرائع من أخص صفات الله، وجعل الله ﷻ الأمر له وحده وتفرد بالحكم، وجعل من ينازعه في هذه الصفة كافراً مكذباً بربوبية الله مشركاً فيها ، وقد دلت عليه نصوص كثيرة جداً.

فقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ فلا يأمر ولا يشرع ولا يحكم إلا من يخلق وكان رباً معبودا ، وأخبر تعالى أن الحكم له وحده لا يشترك معه أحد فيه ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، بل وأخبر الله ﷻ أن من عمل بحكم غيره فقد عبده وصيره إلهاً ورباً له ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ آل عمران٦٤ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، فأنظر كيف سمى الله تعالى الحاكم والمشرّع ومن يسن الدين والقوانين المحللة والمحرمة ربا وليس مجرد إلها وذلك لأنه نازع الله في أعظم خصائصه وادعى بصنيعه هذا الربوبية وجعل نفسه ربا من دون الله يجب أن يطاع ويتحاكم له، وقد فسر الرسول ﷺ لعدي بن حاتم كيف اتخذوهم أربابا وذلك بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم .

سادساً : إرساله الرسل من الملائكة والأنبياء وإنزال الكتب .

من ربوبية الله وأفعاله المقدسة: إرساله الرسل من الملائكة ومن الناس ليعلقوا الخلق بربهم ويبصرونهم بمراد خالقهم، فإرسال الرسول وبعثة الأنبياء من أفعال الله ومن مقتضيات ربوبيته ولوازم حكمته، وهذا أمر دل عليه العقل والفطرة والشرع .

وذم الله ﷻ من أنكر بعثة الرسل وأخبر أن ذلك في الحقيقة قدح في ربوبيته كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

سابعاً : الإماتة والبعث والحساب :

وإماتته لخلقه ثم بعثه لهم وإحيائهم بعد إماتتهم والنشور وحسابهم وإثابتهم وإدخالهم الجنة وعقابهم بالنار. من أعظم أفعال الربوبية المتفرد بها لجلاله وعظمته .

ومعرفة الكفار بالله لم تنفعهم، وصار إنكارهم البعث والرسالة كفرا وتكذيبا استحقوا به النار، لأن تكذيبهم بالبعث والرسل كفر وطعن في الربوبية .

هذه أركان الربوبية السبعة والتي لا يصح إيمان العبد إلا بإيمانه الحق بها.

ثامناً : الألوهية صفة من صفات الربوبية .

وبيان ذلك أن الألوهية معناها استحقاق العبادة، فأحقية العبادة من لوازم الربوبية وصفاتها، فالرب لابد أن يعبد والألوهية لا تنبغي إلا للرب الخالق القادر .

م (٨): آثار الإيمان بتوحيد الربوبية ولوازمه:

الإيمان بتوحيد الربوبية حقاً والرضا به يحمل صاحبه على الكمال في عبادة الله وحده وتوحيده في الألوهية وطاعته وتقدير الله حق قدره وتعظيمه والفرار من معاصيه والخوف من سخطه وعقابه، واللجوء إليه والانكسار بين يديه والافتقار له،

والإيمان الحق بالقضاء والقدر، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، والحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه ومتابعة رسوله ﷺ .

م (٩) : توحيد الربوبية لا يدخل وحده في الإسلام وليس الغاية :

توحيد الربوبية على علو مكانته وعظيم قدره وكونه حق ولا ينجو العبد بدونه ولا يصح إيمانه إذا انتفى، إلا أنه مع ذلك من أتى به وحده لا يكفي ليعتبر مسلما، وليس هو الغاية التي بعثت بها الرسل، إذ الغاية هي عبادة الله وحده وتوحيده ﷻ في الألوهية والعبادة، أما الإيمان بتوحيد الربوبية فإن المشركين كانوا مقرين بأصله ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان لما وقعوا في شرك العبادة والألوهية .

م (١٠) : أنواع الربوبية :

١ - الربوبية العامة لجميع الخلق :

وهي المتضمنة لخلقهم ورزقهم وهدايتهم . وهي ربوبية القدر والقهر.

٢ - الربوبية الخاصة بالمؤمنين :

وهي توفيق الله لهم وإعانتهم على طاعته. وهي ربوبية الشرع والدين والأمر.

م (١١) : محل الإيمان بالربوبية ونوع آلته:

الإيمان بالربوبية كله من قبيل الاعتقادي وليس منه عملي ، بخلاف الألوهية .

أما الشرك في الربوبية فمنه الاعتقادي ومنه العملي المتعلق بالجوارح مثل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله والتصوير وتعليق الحلقة والتمائم والتشاؤم وسب الدهر والريح والجزع والتسخط على القدر .

م (١٢) : أنواع المخالفات والقوادح والشرك في الربوبية:

١- إنكار وجود الرب ﷻ. وقد حصل من الشواذ كالفلاسفة الملاحدة .

٢- إنكار ربوبية الله وكونه خالقا رازقا وذلك بتعطيله عن أفعاله .

٣- إثبات ربوبية الله من غير توحيد. فيعترف بربوبية الله ولكن يقع في الشرك في أفرادها فيثبت الربوبية للمخلوقين، كما عند غلاة الصوفية الذين يثبتون للأولياء والرسل علم الغيب والنفع والضر والقدرة على كل شيء.

٤- القدح في بعض أفعال الله مثل سب الدهر أو الريح أو التشاؤم أو تنقص خلق الله أو الاعتراض على قدر الله والجزع به وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

٥- ترك الحكم بشرع الله وأمره وحكمه والتشريع والتحليل والتحريم .

٦- تشبيه الله تعالى بخلقه ونسبة النقائص له ﷻ. مثل نسبة الولد إليه .

٧- عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره.

٨- السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب فيها .

٩- إنكار القدرية خلق أفعال العباد وإنكار الجبرية الأسباب .

١٠- إنكار صفات الله وتعطيلها وإنكار معناها بالتحريف والتفويض والتأويل كما هو مذهب الجهمية أو بتمثيلها بصفات الخلق .

١١- من يكون شركه في الربوبية من جهة اللزوم فمن أشرك في الألوهية فقد استلزم شركه فيها الشرك في الربوبية والقدح في ربوبية الله .

م (١٣) : مرد نقض توحيد الربوبية إلى ثلاثة أنواع :

الأول : إنكار ربوبية الله وتعطيل الرب منها ومن أفعاله وهذا شرك التعطيل .

الثاني : إثبات الربوبية الخاصة بالله لغيره وعدم توحيده بالربوبية وتمثيل المخلوق بالخالق في الربوبية . وهذا شرك التمثيل .

الثالث : القدح في أفعال الرب كسب الريح والدهر أو التسخط على القدر .

م (١٤) :هل يوجد شرك عملي وأصغر في الربوبية ؟:

نعم ومن أمثلة ذلك :

١- تعليق التمائم .

٢- سب الدهر وسب الريح .

٣- الجزع والتسخط على القدر .

٤- قول: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

٥- التطير والتشاؤم.

٦- نسبة المطر للكواكب والنوء والنجوم والفصول كالربيع نسبة سبب.

٧- التبرك المبتدع بآثار الصالحين .

٨- التصوير .

٩- الحكم بغير ما أنزل الله في القضية الواحدة، والتحاكم شرك في الألوهية.

١٠- شرك الأسباب ، والقاعدة: أن من جعل ما ليس بسببٍ سبباً وتعلق به ما لم يعتقد فيه التأثير فقد وقع في شرك الأسباب .

كل هذه شركيات عملية متعلقة بالربوبية وهي من الشرك الأصغر .

م (١٥) : التشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم : من قبيل شرك الأسباب .

أولاً : هي شرك في الربوبية : ويكون على درجتين حسب معتقد صاحبها :

١- فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر .

٢- وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

ثانياً : وتكون شركاً في الألوهية :

ذلك إن خاف هذه الأمور ورجائها وتعلق بها وأحبها فقد أشرك في الألوهية.

م (١٦) : هل وجد من أقر بتوحيد الألوهية ومع ذلك وقع في شرك الربوبية :

نعم ويوجد ذلك في طوائف :

١- القدرية : القائلون أن العبد يخلق فعله وليس الله بخالق للكفر والشر .

٢- أصحاب التمائم :ممن يلبسها ويعتقد فيها أنها سبب لدفع العين وهذا شرك في الربوبية وإن كان أصغر وإن اعتقد فيها التأثير بنفسها فهو شرك أكبر .

٣- المتبركون التبرك الممنوع بالآثار المبتدعة، والمعتقدون البركة والنفع فيها .

٤- القادح في أفعال الرب كسب الريح والدهر ، والتسخط على القدر .

٥- من أثبت أفعال الرب ﷻ للمخلوق سواءً من باب السبب أو التأثير.

م (١٧) : إقرار المشركين بتوحيد الربوبية .

وسنوضحه بالمبحث التالي .

مبحث: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسل بتوحيد الربوبية في الجملة

كان المشركون العرب وغيرهم مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر المالك وهذا لاخلاف فيه، وإنما الكلام في توحيدهم بالربوبية هل حصل لهم تحقيقه.

والتحقيق في ذلك: أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الأصل والجملة والأساس يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾الزخرف: ٨٧.

فكان إقرارهم بالله وبربوبيته أمر ثابت بل وحتى ألوهيته أقروا بها لكن خالفوا في توحيد الله بالألوهية فهم لا يقرون به ولا يوحدون الله في العبادة فكانوا يعبدون الله ويعبدون غيره ويريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يريدون الشرك كما في قولهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ .

لكن هذا التوحيد منهم لم يكن كاملا ولا صحيحاً، فإيمانهم مختلط بالشرك كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

أما عدم صحته: فلأن من لازم التوحيد في الربوبية التوحيد في الألوهية، فمن أشرك في الألوهية فليس إلا لغلط في الربوبية وقدح فيها، وإلا لو كان حقاً مؤمناً بربه الكريم لما أشرك في عبادته وما اغتر بعبادة الآلهة الباطلة.

وأما عدم كماله فلوجود شرك في بعض أفراد الربوبية :

ومن ذلك قول المشركين ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هود: ٥٤ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ يس: ٧٤ وتلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) وثبت أنهم كانوا يستغفرون بعدها.

فحصل منهم الشرك بنسبة شيء من التصرف والنفع والضر بعض الأحيان لآلهتهم وأنها تعتري أعدائها بسوء وطلبوا منها النصر وأثبتوا للآلهة نوع ملك .

وهذا القدر هو من الشرك في الربوبية، فهم وإن كانوا قد أقروا و اعترفوا أن الربوبية الحقة المطلقة لله وحده لكن اعتقدوا أنه يوجد لغيره بعض خصائصها.

ومن الأدلة الدالة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله:

قول الله ﷻ عن المشركين وإقرارهم بتوحيد الربوبية لله :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٨ .

وأخبر عنهم اعترافهم أن الله يستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة:

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠ .

وأخبر عن اعترافهم بالشرك: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف١٠٦ .

إقرارهم أن المدبر النافع الضار هو الله وإخلاصهم حال الشدة: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾الأنعام٦٣ .

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

ومن الأدلة على اعتراف مشركي العرب بتفرد الرب بالنفع والضر :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾.

﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾.

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

لكن إقرارهم بتوحيد الربوبية لا يعني عدم وجود بعض المخالفات في توحيدهم بالربوبية والقوادح في تفاصيله منها :

١ - اعتقاد بعضهم شيئاً من النفع والضر في الآلهة ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ هود: ٥٤.

٢- إنكار الرسالة والإرسال وهو من ربوبية الله .

٣- إنكار البعث وهو من أفعال الربوبية .

٤ - التحليل والتحريم والتشريع والحكم بغير ما أنزل الله .

٥- عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

٦- اعتقادهم أن السحرة والكهان والمنجمين يعلمون الغيب.

٧- تشبيه الله ﷻ بخلقه وتنقصه مثل نسبة الولد إليه أو النوم والتعب.

٨- وقوعهم في سب الله عدوا بغير علم .

٩- التشاؤم والتطير ولبس الحلقة والتمائم والرقى واعتقاد تأثيرها ونفعها والاستقسام بالأزلام والتبرك بالأشجار والأحجار والاستمطار بالنوء .

قال ابن تيمية : (توحيد الربوبية وهذا لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في تفاصيله).

وقال في الدرء:(كثير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله).

قوله : (فإذا قيل لك : بم عرفت ربك ؟ فقل : بآياته ومخلوقاته . ومن آياته: الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته: السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فصلت: ٣٧.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٥٤) .

م (١) : موضوع هذه الجملة : أوردها المؤلف في الأدلة الدالة على التوحيد وقبح الشرك وطرق وأساليب القرآن في ذلك ، وسنوضحه هنا في مبحث مستقل .

م (٢) : الفرق بين الآية والمخلوق :

الآية الشيء الظاهر الذي لا يخفى .فهي أدل على توحيد الله من المخلوقات.

م (٣) : أنواع الآيات :

١- آيات شرعية ومنها القران ، وهذه صفة من صفات الله غير مخلوقة .

٢- آيات كونية مخلوقة وليست صفة له، كالليل والنهار .

م (٤) : صفة الاستواء: أعظم صفة عطلتها الجهمية، وقد ورد الاستواء بسبعة مواضع في القرآن، والله استوى على العرش بعد أن خلق العالم، والاستواء معناه العلو والاستقرار والارتفاع والقعود والجلوس، وللدشتي كتاب جيد: (إثبات الحد وجلوسه ﷻ وقعوده على العرش)، نقل ابن تيمية وابن القيم مواضع منه.

م (٥) : خلق العالم في ستة أيام :

والمقصود بالعالم السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الملائكة والجن والناس والحيوانات والنبات والشمس والكواكب وغيرها . أما العرش والماء والكرسي والقلم فكانت مخلوقة قبل الأيام الستة، واليوم منها مقداره ألف سنه.

ودليل مقدار اليوم منها بألف سنة جاء في سورتي السجدة والحج.

أما بداية الخلق في الأيام الستة : فقد بدأ ﷻ الخلق يوم الأحد، فالأحد أول يوم والاثنين الثاني إلى الخميس وهو الخامس في الخلق وانتهى بالجمعة، فكان آخر ما خلق الله في هذا العالم آدم عليه السلام ، خلقه في آخر ساعة من يوم الجمعة، وسميت الجمعة لأنه اجتمع خلق كل شي فيه والسبت انقطع الخلق فسمي سبتا أي قطعا .

أما أول ما خلق الله ﷻ من المخلوقات **العرش**، ثم استوى عليه بعد أن خلق العالم في الستة الأيام بنص الآية : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الفرقان: ٥٩. وقد جاء في حديث عمران بن حصين عند البخاري (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء) . مما يدل على أسبقية العرش لكل المخلوقات الموجودة في هذا العالم قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ هود: ٧. وأما قبل خلق العرش فلم يكن الرب معطلا عن الخلق وبقية أفعاله وصفاته لكن لم يذكر لنا شيء مما خلق، خلافا للجهمية، ثم خلق القلم وأمره بالكتابة قبل أن يخلق العالم بخمسين ألف سنة كما في الحديث عند مسلم وغيره.

م (٦) : أدلة المبتدعة على التوحيد المخالفين بها طريقة أهل السنة ستأتي .

مبحث : أدلة التوحيد

أولا: الأدلة العامة :

١- ضرب الأمثـال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ الرعد: ١٤.ومن الأمثلة تمثيل الآلهة بالعبيد بعدة آيات .

٢- قياس الأولى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ النحل: ٦٠ فالله أولى بالكمال وأن يعبد .

٣- نفي الـدليل والحجـة :﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ .

٤- السبر والتقسيم :﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٦ .

٥- دلالة الأثر على المؤثر والخلق على الخالق والفعل على الفاعل.

٦- الجدال والحجة وكشف الشبهات .

٧- إفحام المشركين بالأسئلة التقريرية الإلزامية والاستنكار عليهم .

٨- دلالة معجزات الأنبياء .

٩- دلالة الفطرة .﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ إبراهيم: ١٠

١٠- دليل الميثاق : ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ .

ثانياً : الأدلة الفرعية على توحيد الله أو الربوبية بالخصوص:

١- دلالة الخلـق : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ﴾ فصـلت: ٥٣﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ الأعراف: ١٨٥ .

٢- دلالة العناية عناية الرب بخلقة من ذلك جعله الأرض مهادا وجعل فيها منافع وقدر أقواتها، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ النبأ: ٦.

٣- دلالة الإتقان والتسوية وإحسان الخلق وعدم الخلل في نظام الكون:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ السجدة: ٧ .

٤- دلالة التقدير : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾.

٥- دلالة التسخير والتدبير : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾.

٦- دلالة الهداية : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ الأعلى: ٢-٣ .

٧- دلالة الاختصاص والقدرة على غيره : ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ .

٨- دليل التمانع : وهذا دليل على توحيد الربوبية والألوهية معا .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ المؤمنون: ٩١ . ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء ٢٢ . ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٢. قيل سبيل لمغالبته ومنازعته وتكون بمعنى ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾.وقيل سبيل للتقرب والزلفى فتكون بمعنى ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ ﴾ .

٩- دلالة الانفراد بالكمال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر ٢٣.

١٠- دليل افتقار كل الخلق له وصمودهم له وحاجتهم إليه وغناه عنهم وأن النفع والضر بيده. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥.

فكل هذه الأدلة تدل على توحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته أيضا .

ثالثا : أدلة توحيد الألوهية : إضافة على الأدلة السابقة :

١- إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وأنه وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير والنفع والضر. وتفرد الله بالكمال والخلق والتدبير والملك.

٢- دليل الإخلاص حال الخوف والشدة .

٣- إثبات العجز لكل الآلهة الباطلة والنقص لها ومن ذلك : نفي الخلق عنهم والملك والقدرة والرزق والشفاعة والسمع والكلام والحركة وحاجتها للطعام وأنها ميتة غير حية وأنها لا تنصر نفسها ولا تدافع عن عابديها.

٤- مطالبة المشركين بالدليل على فعلهم وحجة لشركهم .

٥ - أمره بعبادته دون غيره والكفر بالشرك وبيانه لمفاسد الشرك وعقوباته.

رابعاً: القياسات في التوحيد والعقيدة وما يصح منها في حق الله ﷻ:

١- قياس الأولى : ومثاله أن يقال أي كمال فالله ﷻ أولى به .ومن أدلته قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ يس: ٨١.

٢- قياس العلة : وهو ما حذف منه إحدى المقدمات لدلالة المقام عليها. ومن أمثلته: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩

فإذا جاز خلق آدم من غير أب فكذا عيسى فكليهما مخلوق ولا تصح عبادتهم .

٣- قياس الدلالة (التمثيلي) : وهو ما جمع بين أصل وفرع بعلة جامعة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت: ٣٩.

والله ﷻ يستخدم في حقه: قياس الأولى، ولا يستخدم قياس الشمول الذي تستوي أفراده، ولا قياس التمثيل .

٤ – قياس الشبه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ الأعراف: ١٩٤.

٥ – الخلف: إثبات الأمر ببطلان نقيضه: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

٦ – قياس الشاهد على الغائب : كقياس البعث بإحياء الأرض الميتة

٧– الأقيسة الباطلة الشركية . كقياس الشفاعة عند الله بملوك الدنيا .

٨– السبر والتقسيم ومثاله آيات سبأ ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾: ٢٢ - ٢٣.

تنبيه : المقارنة بين استدلال القرآن على التوحيد وأدلة المتكلمين :

هذه أدلة القرآن على التوحيد .

أما استدلال الصوفية والمتكلمين على وجود الله فاستدلالات فاسدة كدليلهم على حدوث الأعراض وحلولها بالأجسام . فهي باطلة لأمور:

أولاً : أنهم أعرضوا عن طريقة القرآن في الاستدلال على التوحيد ، الذي يوافق الفطرة والعقل ومعروف حتى في الجاهلية : (البعرة تدل على البعير) .

ثانياً : أنهم استدلوا بها على وجود الله ، والله تعالى لا يحتاج وجوده إلى دليل .

يقول الشاعر : **وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد**

وما أحسن قول العجوز في الرازي لما بلغها عنه أنه يحفظ ألف دليل على وجود الله ، قالت: لو لم يكن لديه ألف شبهة لما احتاج أن يحفظ ألف دليل .

ثالثاً:أنهم أنكروا بهذه الأدلة الصفات، بل هي التي أوقعتهم في شرك العبادة .

قوله : (والرب هو المعبود .

والدليل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف توحيد الألوهية وسنبينه بعدة مسائل في المبحث الآتي.

مبحث : توحيد الألوهية

المسألة الأولى : اشتقاق الألوهية :

الألوهية والإلهية أصلها منتزع من الإله، وهي مشتقة من الفعل أَلَه بمعنى عبد، والياء والتاء في الألوهية هي للنسبة أي نسبة الإلهية والعبادة لمستحقها .

والمراد بتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة المتعلقة بأفعال العباد.

وتقدم تعريف التوحيد .

المسألة (٢) : معنى الإله وصيغته واشتقاقه:

إله على وزن فِعَال بمعنى مفعول فهو إله بمعنى مألوه وهو المعبود .

وصيغة فعال التي بمعنى مفعول في اللغة لها أمثلة كثيرة منها :

كتاب بمعنى مكتوب وإمام بمعنى مأموم وفراش بمعنى مفروش.

والإله كذلك معناه المعبود ووجه ذلك : أن الإله معبود متأله وليس هو الفاعل العابد، فالإله ليس هو الذي يقوم بالعبادة ويفعلها ويصرفها وإنما تصرف له وتفعل له فهو معبود مألوه والمخلوق هو الآلة العابد فاعل للعبادة .

فالإله مشتق من فعل أَلَهَ بفتح اللام على وزن فَعَلَ كفتح، يأله إلاهة وتألها وألوهية ، وهو بمعنى عبد يعبد عبادة وتعبداً. وتأله تعبد وألوهية عبودية وأَلَهَ عَبَدَ ويأْله يعبد وإلاهة عبادة، والمتأله المتعبد والآلِه هو العابد والمألوه المعبود.

ويدل لهذا المعنى : شعر رؤبة بن العجاج :

(لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي) أي من تعبدي .

وقراءة ابن عباس:(ويذرك وإلاهتك) أي يترك عبادتك وكان فرعون يُعبد .

وكل معبود يسمى إلـهاً سواء عُبِد بحق وعدل وهو الله وحده لا شريـك لـه، أو عُبِد بظلم وهذا كل معبود سوى الله إذ عبادته تعتبر باطلة وظالمه . وقد سـمى الله المعبودات الباطلة آلـهة كالهوى والأصنام.

قال ابن عباس ﷺ : (**الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين**) الطبري.

قال الطبري: فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فِعَـال بمعنـى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب .

م (٣) : **الألوهية والعبادة بمعنى واحـد وهـي مـن المترادفـات** : وأَلَـهَ وعَبَـدَ لفظان مترادفان، ففعل العبادة هو نفسه فعل الألوهية اللذان هما التعبد والتأله .

فحقيقة الألوهية كل عبادة أمر الله بها ويثيب فاعلها .

م (٤) : الإله اسم جنس لكل ما يعبد :

قال الزمخشري في الكشاف : (الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم على المعبود بحق) .

وقد سمى الله ﷻ المعبودات آلهة وكل ما عبد إله في آيات كثيرة .

م (٥) : أسماء توحيد الألوهية :

١- توحيد الألوهية والإلهية.

٢- توحيد العبادة: والألوهية هي والعبودية التي أمر الله بها ولا تنبغي إلا له.

٣- توحيد العباد : لكونه متعلق بأفعال العباد المخلوقين وتعبدهم .

٤- توحيد الإرادة والقصد والنية والطلب: لأنه متعلق بإرادة العبد وتوجهه.

٥- التوحيد الطلبي القصدي : لأنه قائم على طلب العبد وقصده ربه.

٦- توحيد العمل والفعل أو التوحيد العملي الفعلي: لأنه متعلق بأعمال العبد.

٧- توحيد الشرع والأمر والنهي : لكونه متعلقاً بأمر الله للعباد وتشريعه.

٨- توحيد الغاية: الغاية التي من أجله خلقنا ويقابل توحيد الوسيلة الربوبية.

م (٦) : الأقوال في اشتقاق اسم الإله :

١- الإله مشتق من (وِلَاه) وألَه ووله لجأ والتجأ واعتمد عليه وتضرع إليه .

٢- أنه مشتق من (وَلاه) من ولِه ألِه ولاه وتولها و الوله التولع والاشتياق.

٣- الإله مشتق من(ألِـهّتُ) إلى كذا إذا سكنت إليه ، فالقلوب تسكن إليه

٤- أنه مشتق من (لاه) يلوه ، إذا احتجب واستتر .

٥- أنه مشتق من (لاه) يليه إذا ارتفع.

٦- أنه مشتق من (وله) ألِه وهو التحير.

وهذه المعاني بعضها صحيح وداخل في عموم العبادة ، إلا أنها قاصرة في الدلالة على المعنى .

٧- أنه مشتق من (ألَهَ) آله أي قادر على الاختراع ومنه سميت الآلات بذلك، وجعل أصحاب هذا القول الإله بمعنى الفاعل لا المفعول وفسروا الألوهية بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، فالإله هو القادر وهو الرب، وهذا قول مبتدع لا تدل عليه النصوص ولا جاءت به اللغة وهذا القول والفهم أوقعهم في الشرك .

وهذا معنى الألوهية عند المتكلمين والصوفية القبورية . والعبادة عندهم لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صفات الربوبية.

قال ابن تيمية: (الإله هو المألوه أي المستحق أن يؤله أي يعبد ولايستحق أن يؤله ويعبد إلا الله، وقد غلط طائفة من أهل الكلام فظنوا أن الإله بمعنى الفاعل وجعلوا الألهية هي القدرة على الاختراع والربوبية) الفتاوى ١٣/ ٢٠٣ و٣/ ١٠١.

أيضا لا يعتبرون الدعاء من العبادة فالعبادة عندهم فقط السجود والصلاة .

م (٧) : أنواع الألهة :

١- الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون الا لله وحده المستحق للعبادة وليس نفي وجود المعبود ، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبته غير منفية لكن المنفي استحقاقها العبادة، إذ أن عبادتها باطلة ولا تستحق أن تعبد .

٢- الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبد من دون الله، ومن هذه المعبودات الموجودة الباطلة: الملائكة والأنبياء والأولياء والأموات والملوك والعلماء والجن والشمس والقمر والنجوم والنار والأصنام والأوثان والأشجار والصور والهوى والدنيا. وقد سمى الله كل ما يعبد إلهاً.﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾.

واتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده السموات والأرض .

م (٨) : الألوهية صفة من صفات الربوبية :

الألوهية هي صفة من صفات الله ﷻ وحق من حقوقه، فاستحقاق العبادة لله هي من مفردات الربوبية وخصائصها . وبيان ذلك أن الألوهية معناها استحقاق العبادة، ومعلوم أنه لا يستحق أحد العبادة غير الرب الخالق، فأحقية العبادة هي من لوازم الربوبية وصفاتها ومعانيها، فالرب لابد أن يعبد ويطلب ويرجى لكونه القادر على كل شيء، والعكس بالعكس العبادة والألوهية لا تنبغي إلا لمن قدر على النفع والضر والخلق ولا توجد هذه الصفة في أحد غير الله تعالى .

م (٩) : الألوهية صفة للرب وللعبد:

أولاً : الألوهية المتعلقة بالرب : ويقصد بها استحقاق العبادة.

وهي صفة مشتقة من الإله وذلك بكون الله ﷻ مستحق للعبادة وهو المعبود .

ثانياً : ألوهية العبد : وتطلق على فعل العبادة ويقصد بها الفعل نفسه :

فتتعلق الألوهية التي هي العبودية بالعبد من حيث كونه عابدا، فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره فهي صفة من صفاته التي لا تنفك عنه .

م (١٠) : قاعدة : تحقيق توحيد الألوهية يحصل بأمرين :

الأول: عبادة الله وحده بما شرع لنا رسوله .

الثاني: البراءة من عبادة غيره والكفر بالطاغوت .

ولا يكفي أحدهما عن الآخر ، ومن تركهما أو أحدهما فهو كافر .

م (١١) : أركان الألوهية وآلاتها :

تتكون الألوهية من أربعة أركان تقوم عليها ولا تتم وتصح إلا بها.

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بالإقرار بوحدانية الله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادة ومحبته ورجائه والخوف منه والخضوع له وتعظيمه والرضا به.

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد (الشهادتين) وذكره ﷻ وبالثناء عليه وحمده وشكره ودعائه والاستعانة به وسؤاله وطلبه وحده لاشريك له.

الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام لله والصلاة والسجود والذبح .

فتوحيد الألوهية منه الاعتقادي ومنه القولي ومنه العملي الفعلي .

م (١٢): لا يستقيم توحيد الألوهية إلا بإثبات الصفات لله ﷻ :

من اختل توحيده في الصفات وأخل بنسبة الكمال لله وقع في الشرك في الألوهية لزاماً ، ولا يتم توحيد الألوهية إلا بتوحيد الأسماء والصفات وإثباتها لله على الحقيقة كما جاء في النصوص وعدم تعطيلها . ومن وقع في شرك الأسماء والصفات لا بد له من حصول الخلل في الألوهية، وهذه القاعدة منضبطة لا تنخرم.

م (١٣) : دخول الولاء والبراء في الألوهية :

لا يتم توحيد الألوهية إلا بالولاء لأهلها ومعادة الكافرين بها المشركين ، ومما يدخل في مسمى العبادة الحب والبغض، والموالاة والمعاداة كما دلت آية إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ .

م (١٤) : دخول الحكم في توحيد الألوهية :

جعل الله الحكم بما أنزل والتحاكم إلى أمره وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله ويأمر بها ويجب أن يوحده العبد فيها فلا يحكم إلا بحكم الله ولا يتحاكم إلا إليه، فكل ذلك يدخل في مسمى العبادة. قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦ .

م (١٥) : حاجة الناس إلى توحيد الألوهية :

كما أن العباد في حاجة إلى ربوبية الله فهم في حاجة إلى **ألوهيته وعبوديته** والتعلق به، ومن لم يفهم هذا الأصل لم يفهم إياك نعبد وإياك نستعين **فالأولى نعبد** مردها للألوهية ونستعين مردها للربوبية، فنحن في حاجة إلى ربوبية الله وإلى ألوهيته، فالخلق مضطرون مفتقرون إلى اللجوء إلى ربوبية خالقهم وعبادة إلههم .

م (١٦) : أهمية توحيد الألوهية :

هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ولأجلها أرسلت الرسل وقامت السموات والأرض ويدل لهذا الأصل العظيم قوله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ . فلأجل توحيد الألوهية خلق الله الإنس والجن والملائكة، ولأجله بعثت الرسل وإنزلت الكتب، وهو دعوة جميع الرسل قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦.

ولأجل التوحيد شرع الجهاد وجردت السيوف وأريقت الدماء وقام الرسل بذلك ولا يعتبر المرء مسلما إلا به ولا يدخل الجنة إلا بتحقيقه .

وبالتوحيد قامت السموات والأرض فهو العدل وما يخالفه هو الظلم قال سبحانه ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ الأنعام: ١١٥ . وبلا إله إلا الله التي هي التوحيد قام الخلق وكل شيء .

وقد دل على توحيد الألوهية الفطرة والعقل قبل نزول الشرع، وقد وهم وأخطأ من ظن أن الفطرة دالة على توحيد الربوبية فقط دون الألوهية .

وصلاح البشر بل جميع الخلق بتوحيد الألوهية فلا غنى لهم عنه فكما أن الناس محتاجون لربوبية الله فهم أشد حاجة إلى عبادته وألوهيته .

قال ابن تيمية : (التوحيد جماع كل خير والشرك جماع كل شر) .

ولا يمكن أن يجتمع شمل الأمة إلا بالتوحيد والجهاد عليه .

توحيد الألوهية أول واجب على العبد وآخر واجب لا يدخل أحد الإسلام إلا به ولا يدخل الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه وهو الذي يعصم الدم أو يهدره.

وأجمع العلماء أن أول ما يدعى إليه الكافر كلمة التوحيد وبها يدخل في الدين.

م (١٧) : أكثر المشركين وقع شركهم في توحيد الألوهية .

معظم المشركين الذين أرسلت لهم الرسل كان دينهم الشرك في الألوهية بإتخاذ الوسائط والشفعاء التي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده وهذه حقيقة الألوهية التي يفعلونها والآلهة التي سماها الله ﷻ آلهة ليست لهؤلاء المشركين إلا مجرد شافعة يدعونها ويطلبون منها أن تقربهم إلى الله وتشفع لهم وتستغفر لهم وتستنصر لهم وتطلب الرزق لهم، لا أنهم اعتقدوا أنها تخلق وترزق وتملك وتنفع وتضر بذاتها فقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قدمنا عنهم ، وأن حقيقة شركهم

كان في طلب الشفاعة من الأولياء : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨، وهذه الوسائط والشفعاء كانت في الغالب من الأولياء، فعيسى وأمه وود وسواع ويغوث واللات كانوا رجالا صالحين اتخذهم المشركون شفعاء لهم عند الله وآلهة يعبدونهم بدعائهم من دون الله.

بل كان المشركون معترفين بألوهية الله وكانوا يعبدونه ويدعونه ويصلون له ويحجون لكن النزاع كان معهم في إفراده ﷻ بالألوهية وأن يوحدوه في العبادة ويعبدونه وحده كما قال ﷻ عنهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠، فهذه الآية أثبتت أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ لكن لم يكونوا يريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى بل فوق هذا كانوا يخلصون له العبادة والدعاء وقت الشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥، ومع ذلك لم تنفعهم هذه العقيدة ولا أدخلهم الله بها في الإسلام .

وفي هذا رد على المتكلمين والقبورية الذين ظنوا أن الاعتراف بتوحيد الربوبية يدخل في الإسلام وأن الشرك هو في الربوبية فقط .

قوله : (والرب هو المعبود).

قوله : (قال ابن كثير رحمه الله تعالى :
الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية وما بينهما من روابط ، ووجه تفسيره الرب بالمعبود ، وهذا ما سنبينه هنا بعدة مسائل في المبحث التالي.

مبحث : العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

المسألة الأولى: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

١ - أن الربوبية متعلقة بأفعال الرب ﷻ كالخلق والإحياء فهي فعله وصفته .

والألوهية متعلقة بأفعال المخلوق كالخوف والسجود فهي فعل العبد وصفته.

٢- أن توحيد الألوهية متضمن للربوبية .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وليس متضمنا له.

٣- أن توحيد الربوبية متعلق بالاعتقاد والقول .

وتوحيد الألوهية متعلق بالعمل عمل القلب والجوارح مع الاعتقاد.

٤- أن الربوبية توحيدها معرفة وإثبات .

والألوهية توحيدها إرادة وطلب وقصد .

٥- أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونية القدرية كالخلق والتدبير .

والألوهية متعلقه بالشرع والأمر والنهي والمحبة والرضا .

٦- أن الربوبية مشتقة من اسم الرب وهو السيد المربي المتصرف .

والألوهية مشتقة من اسم الإله وهو المعبود .

٧- أن توحيد الربوبية متضمن الإيمان بأن الله رب كل شيء وخالقه .

وتوحيد الألوهية متضمن الإيمان بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما سواه .

٨- أن توحيد الربوبية أقر به المشركون غالباً .

وأما توحيد الألوهية فوقعوا في الشرك فيه وأنكروا توحيد الله به .

٩- أن الربوبية دليل على الألوهية والألوهية مدلول للربوبية .

١٠- أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به فقط في الإسلام .

والإيمان بتوحيد الألوهية يدخل الإسلام لأنه يتضمن غالبا توحيد الربوبية.

١١- أن الألوهية والربوبية من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى وإذا افترقت اجتمعت .

المسألة (٢) : الرد على من زعم أن الألوهية والربوبية متحدة المعنى :

١- أن لفظ الإله غير لفظ الرب، حيث يختلفان في اللفظ والمعنى بإجماع أهل اللغة وأهل التفسير والشرع.

٢- أن الله جمع بين الاسمين (الرب والإله) في كتابه في سورة الفلق وآية مريم وغيرها وعطف بينهما والعطف يقتضي المغايرة .

٣- لو صحت دعواهم أن الألوهية والربوبية معناهما واحد، لكان من قال لا رب إلا الله داخلا بذلك في الإسلام ومعلوم أنه لا يدخل الإسلام إلا بلا إله إلا الله.

٤- أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في أنه وحده المستحق للعبادة .

المسألة (٣) : الألوهية والربوبية من الألفاظ المتداخلة عند الاقتران:

أي أنهما إذا اجتمعا في اللفظ واقترانا في جملة واحدة افترقا في المعنى وفسر كل واحد بأشهر معانيه وما يخصه، فالألوهية بالعبادة والربوبية بالخلق والملك والتدبير .

وإذا افترقا في اللفظ اتحدا في المعنى وفسر كل لفظ بالآخر.

فهي مثل الإسلام والإيمان والفقير والمسكين .

قال ابن تيمية: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد ولا يمنع أن يختص بمعناه عند الاقـتران) . الفتاوى ١٠/ ٢٨٣.

أولاً : اجتماع الألوهية والربوبية والإله والرب :

قال تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١ – ٣ .

وقوله:﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرعد: ٣٠، فجمع ﷻ بين لفـظ الـرب الـدال على الربوبية والخلق والتدبير ولفظ الإله الدال على الألوهية واستحقاق العبـادة ممـا يدل على افتراقهما في المعنى وإن لكل لفظ معنى يخصه .

ثانياً : ذكر الرب والربوبية ودخول الألوهية فيه :

قال ﷻ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي معبودكم .

ثالثاً : ذكر الألوهية ودخول الربوبية فيه :

قوله:﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ فالآية دالة عـلى الألوهيـة ويـدخل فيها الربوبية فمعنى الآية لا معبود بحق إلا أنا ولا خالق قادر مدبر مالك إلا أنا .

م (٤) : أوجه دخول توحيد الربوبية في توحيد الألوهية :

١ – أن الألوهية تستلزم الربوبية، فالمعبود يلزم أن يكون رباً كاملاً مالكاً مدبراً بيده النفع والضر وإليه يرجع الأمر وله صفات الكمال والجلال .

والمستحق للعبادة من له هذه الصفات والتي مردها للربوبية.

٢– أن الإيمان بربوبية الله وتوحيده بها من العبادة والألوهية التي تقربنا إليـه، فإثبات الربوبية لله وحده عبادة من العبادت، وهذه من مقتضيات الألوهية.

٣- أن الله تعالى يحب أن يوصف بالكمال وأن يوحد في الربوبية، فالله ﷻأمر بذلك ورضيه وأحبه وهذه المعاني كلها من الألوهية والعبادة القائمة بالعبد.

٤- أن الله ﷻ جعل الدخول في الدين بقول كلمة لا إله إلا الله، فلو لم تكن هذه الكلمة دالة على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا، لأتى بعبارة أخرى.

٥- أن اسم (الله) دال على الألوهية بالمطابقة وعلى أسمائه وصفاته وربوبيته جميعاً بالتضمن والملازمة .

٦- أن من وحد الله في الألوهية والعبادة فلابد أن يكون موحداً لله في ربوبيته ومؤمناً بذلك وهذا يدل عليه العقل أن الألوهية متضمن للربوبية .

م (٥) : أوجه دخول توحيد الألوهية في توحيد الربوبية :

١- أن الربوبية تستلزم الألوهية، فالرب لابد أن يكون إلهاً، ومن كان كاملاً مالكاً للنفع والضر والتدبير والخلق فلابد أن يُعبد، ويستحق العبادة .

٢- أن توحيد الألوهية معناه استحقاق العبادة لله ﷻ، ومعلوم أن هذه الصفة التي هي استحقاق من صفات الكمال المتعلقة بالربوبية.

٣- أن من صفات الله ﷻ الملازمة للربوبية الحب والرضا ، ومما يحبه الله ويرضاه أن يوحد في الألوهية .

٤- أن الألوهية من مقتضيات الفطرة والربوبية ، فلا يصل العبد المربوب المخلوق لربه وخالقه إلا بالعبادة والألوهية ولا يصلح العبد إلا بذلك، وكما أن العبد محتاج للربوبية من الله فهو محتاج حاجة أولوية للألوهية.

م (٦) : تلازم الربوبية والألوهية :

قال محمد بن عبد الوهاب: (لا يغلط في الإلهية إلا من لم يعط الربوبية حقها) .

قال الألوسي العراقي في تفسيره : (ولا أرى أحداً ممن – يدعو غير الله – إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه).

قال الحكمي في المعارج : (وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر وهكذا أضدادها، فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمان عباد القبور إذا قال أحدهم للمقبور أغثني ونحو ذلك يناديه من بعيد فدعاؤه إياه عبادة صرفها لمخلوق وهذا شرك في الألوهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب و شفاء مريض ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك فهذا شرك في الربوبية) .

قوله : (وأنواع العبادة التي أمر الله بها ، مثل:

الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء ، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر .

وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها ، كلها لله تعالى .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨.

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : موضوع العبادة التي أمر الله بها، ووجوب توحيد الله بها ، وكفر من صرفها لغيره .

وسنبينها بعدة مسائل في المبحث الآتي.

مبحث : العبادة

المسألة الأولى : تعريف العبادة في اللغة :

العبادة مشتقة من عبد يعبد عبادة وعبودية وتعبد ومتعبد ومستعبد .

ومعناها : الذل والخضوع والطاعة والاستسلام والانقياد والإذعان والتدين.

فالعبادة هي الطاعة والذل والخضوع على وجه التعظيم .

العبادة قد ترادف لفظ الطاعة والإسلام والألوهية والدين والشريعة .

م (٢) : **تطلق العبادة على** : ١- أمر الله ودينه . ٢- فعل العبد لذلك الأمر.

م (٣) : **معنى العبادة في الشرع : عُرِّفت بعدة تعاريف ، أضبطها ثلاثة:**

الأول: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

الثاني: فعل ما أمر الله به امتثالاً وترك ما نهى عنه على وجه الطاعة والامتثال .

الثالث: كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة. كما عرفه ابن القيم في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه * مع ذل عابده هما قطبان

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان

م (٤) : **قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أمور :**

١- تعظيم الله ﷻ وإجلاله والمهابة منه وخوفه. ٢- غاية المحبة لله ﷻ.

٣- غاية الذل لله ﷻ والخضوع له ومهابته والانكسار له واللجوء إليه .

م (٥): **كل العبادات مبناها على الذل والتعظيم** : أي عبادة لو تأملتها لوجدتها تقوم على الذل والخضوع، ووجد الغاية منها إخضاع العبد لربه والتذلل والانكسار له والتجائه إليه وتعظيمه. فما خلقنا إلا لنعبده ونذل له ونعظمه، ونتقرب إليه.

م (٦): أسماء المعبود بحق أو باطل : الرب الإله المعبود والمدعو الشفعاء الشريك والشركاء الوسائط المقربة الأصنام الأوثان التماثيل.

م (٧) : من عبد غير الله ﷻ ودعاه، فقد عبد الشيطان على الحقيقة، لأن هذا الشرك من أمر الشيطان فمن أطاعه فقد عبده كما قال تعالى ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ النساء: ١١٨ ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

م (٨) : جاءت اطلاقات في لغة العرب ووردت في الشرع بمعنى صرف العبادة منها : التوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء والاتخاذ والإرادة .

م (٩) : أنواع العبودية :

١- العبودية العامة: ويشترك فيها كل الخلق المؤمن والكافر، وهذه عبودية الربوبية، يدل لها قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ مريم: ٩٣.

٢- العبودية الخاصة : وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبادة الألوهية ويدل لها قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الفرقان: ٦٣.

فالعبودية بنوعيها مثل الربوبية العامة والخاصة والإسلام العام والخاص .

م (١٠) : أقسام العبادات :

منها القلبية والقولية والعملية. ومنها الفعلية والتركية. ومنها البدنية والمالية.

ومنها المشروعة وهي الموافقة لأمر الرسول ﷺ وهديه .

ومنها المبتدعة وهي التي لم يأمر الله ﷻ بها أو جاء الأمر بخلافها .

ومنها الشركية : هي التي يعبد بها غير الله ﷻ.

م (١١) : شروط صحة العبادة :

١- الإخلاص لله ﷻ والتوحيد وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥. ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد .

٢- المتابعة لرسوله ﷺ وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

ودليل الشرطين: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠ .

م (١٢) : قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أصول :

١- عبادة الله وحده ، ويتحقق بعدم الكفر.

٢- عبادته بما شرعه لنا رسوله و بمتابعة رسوله ، ويتحقق بعدم البدعة.

٣- الكفر بعبادة ما سواه ، ويتحقق هذا الأصل بعدم الشرك والبراءة منه.

م (١٣) : أطراف العبادة :

لا تتم العبادة إلا بقيام المحبة والخوف والرجاء، وقد أثنى الله ﷻ على من جمع بينها، قال تعالى: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا ﴾ الأنبياء ٩٠ ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف ٥٦ ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء ٥٧ ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩.

م (١٤) : علاقة العبادة بالمسميات الشرعية :

أولا: الفرق بين الطاعة والعبادة :

١- أن العبادة لا تكون إلا لله أما الطاعة فتكون لله ولغيره مثل طاعة الزوج والوالدين وأولي الأمر . فالطاعة تصرف للمخلوق أما العبادة فلا تصرف إلا لله .

فيقال طاعة الله وطاعة الوالدين ولا يقال عبادتهم. **فالله تفرد بالعبادة دون الطاعة .**

قال ابن تيمية : (باب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع في حق البشر وغير مشروع، وأما العبادة والتأله فلا حق فيها للبشر بحال) الفتاوى ١ / ٩٨.

٢- كل طاعة لله هي عبادة لا العكس لأن الطاعة هي تنفيذ أمر وموافقته وامتثاله، والعبادة أعم فقد يكون سببها فعل مأمور به وامتثال أمر وقد تكون مجردة.

قال ابن تيمية في شرح العمدة في كتاب الصيام : (الطاعة موافقة الأمر وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة وما كان في الأصل غير عبادة وإنما يصير عبادة بالنية كالمباحات الأكل والنوم بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله كذلك فما لم يؤمر به من العبادات وإنما رغب فيه هو عبادة وإن لم يكن طاعة) .

٣- العبادة لابد أن يقارنها الذل والخضوع والمحبة والمعرفة بخلاف الطاعة.

قال ابن تيمية: (الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده صاحب الأمر، أما العبادة فهي المتضمنة لغاية الذل والخضوع مع غاية الحب فمن خضع لشخص مع بغضه له لم يكن عابدا له وكذا إذا أحبه ولم يخضع له). الفتاوى ١٠/ ١٥٣.

٤ – العبادة يلزم منها طاعة من يعبد . قال سليمان في التيسير: (تفسير العبادة بالطاعة من التفسير باللازم، فإن لازم العبادة أن يكون العابد مطيعا لمن عبده بها).

٥- الشرك يكون في الطاعة وفي العبادة ، وشرك العبادة أشمل وكله شرك أكبر. أما طاعة المخلوق في معصية الله فمنها طاعة معصية ومنها طاعة شركية كفرية.

ثانيا : علاقة العبادة بالإسلام :

لما قلنا : إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة .

كان الإسلام هو بمعنى الانقياد وهو بذلك يدخل في عموم العبادة،فلا يوجد شيء من الإسلام إلا وهو داخل فيها كما أن العبادة الشرعية داخلة في الإسلام .

قال ابن كثير في التفسير: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع).

رابعا: علاقة العبادة بالتوحيد:

التوحيد صفة وحال للعبادة فالعبادة إذا لم تصرف إلا لله فهي كما يقال التوحيد والإخلاص يدخل في العبادة وأفضل العبادات . فالعبادة أعم من التوحيد فكل من وحد الله فقد عبده وليس كل من عبد الله موحدا فقد يعبد الله ويعبد غيره .

سادسا: علاقة العبادة بالدين :

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

والدين كالعبادة منه الحق وهو دين الإسلام والباطل كدين المشركين .

م (١٥) : تارك العبادة والألوهية كافر :

العبادة منها ما تركه كفر كالصلاة والتوحيد ومنها ما تركه محرم كالواجبات ومنها ما تركه لا يعاقب عليه كالمستحبات .

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كافر: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠ . وداخرين أي صاغرين، وكان الجزاء هنا من جنس العمل، حين استكبر ولم يذل ويخضع لله عاقبه بالإذلال. وتارك العبادة وقع في كفر الإعراض، وكفر الإباء والامتناع، وافتقد صاحبه شرط الانقياد .

وخالف في هذا الأصل المرجئة فجعلوا تارك الأعمال مؤمنا مسلما .

م (١٦) : حاجة الإنسان للعبادة وكونه مفطوراً على التعبد والتدين:

عبادة الله فوق كل ضرورة ولابد للمخلوق من العبادة ومن لم يعبد الله عبد غيره لا محالة . وحاجة الخلق لعبادة الله أعظم من حاجتهم لربوبية ربهم لهم .

م (١٧) : شمولية العبادة وجهل الناس بحقيقتها :

كما أن النسك والشعائر التعبدية لله وحده، فكذلك بقية الحياة بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها بل وحتى الممات يجب أن يكون كل ذلك لله. إلا أنه مع مرور الزمن وتضليل العلمانية المنافقة والصوفية والمرجئة أدى إلى تشويه الدين وانحسار مفاهيمه الشرعية عن مدلولها الشرعي الصحيح، ومنها العبادة، حيث حصروها في دائرة أداء المناسك والشعائر التعبدية التي ساحتها المساجد والمعابد. وأخرجوا التشريع والحكم والطاعة والتحاكم من العبادة، وأخرجوا الولاء والبراء ومعاداة الكفار وجهادهم والكفر بالطاغوت من العبادة.

أما عند المتكلمين والصوفية القبورية: فلا يسمون العبادة عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود واعتقاد الربوبية فيه أو إعطائه بعض صفات الربوبية .

أيضا لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة فالعبادة في السجود والصلاة.

م (١٨) : لماذا استحق الله تعالى العبادة دونها سواه ؟

الأول: لكماله المطلق من جميع الوجوه بلا نقص، ومن هذا الكمال أنه متصرف قادر خالق عالم بكل شيء، وكماله في قدرته وغناه وعلمه وقيامه على كل شيء، وجماله الكريم وإنعامه على خلقه ورحمته بهم ومحبته لأوليائه. وهذا يستوجب أمرين: أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة ، وأن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها .

الثاني: لجماله ﷻ فله الجمال المطلق من جميع الوجوه.

الثالث: لإنعامه ﷻ على خلقه وتفضله على عباده ولعظيم نعمته على خلقه فكل خير منه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ، فهو المنعم وحده ولهذا استحق المحبة والعبادة وأن يدعى ويلجأ إليه وحده.

الرابع: لأنه ﷻ النافع الضار وحده ، فهو القادر أن ينفع ويضر والمتفرد وحده بذلك . قال تعالى مبينا هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ الفرقان: ٥٥.

الخامس: لكمال غناه ﷻ وفقر كل مخلوق إليه فلا غنى لأحد عنه فهو الغني الحميد والصمد الكريم المجيد .

السادس: لكمال رحمته بخلقه ولعلمه بما يحتاجونه وما ينفعهم، قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٨ .

السابع : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لأنه وحده الخالق وغيره لا يخلق فمن يخلق يجب أن يُعبد ومن لا يخلق لا يستحق أن يُعبد .

ولا يمكن أن توجد هذه الصفات في أي مخلوق.

م(١٩) قاعدة:الكامل يستحق العبادة وتجب له، والمعبود لابد أن يكون كاملاً:

الأول : أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي أنه لو كان للرحمن ولد كما زعم المشركون لصحت عبادة هذا الولد، لأنه لو كان لله تعالى ولد لكسب صفات والده من صفات الكمال، فاستحق العبادة، ولمّا كان هذا مستحيلا، فالولد منتفي عن الله انتفت العبادة عن غير لله .

الثاني : أن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها بل فيها الضرر كما أخبر تعالى في سورة الحج في قوله: ﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

وهذا حق دل عليه العقل والشرع أن من يُدعى ويُسأل لا بد أن تكون له القدرة على إجابة من دعاه ورجاه ويملك نفعه ودفع الضر عنه وإلا كانت دعوته وعبادته خسارة . ولا يصح أن يكون لله شريك في العبادة لعدم وجود الكمال فيه .

فالنتيجة أنه لا كامل غير الله ﷻ وبالتالي فلا يستحق العبادة أحد سواه، لأنه لا يمكن أن يعبد إلا الكامل والكامل لابد أن يعبد، ولا كامل مطلقاً إلا الله فيجب أن تكون العبادة له وحده.. وقد قرر سبحانه في كتابه هذا الأصل وأفحم به أهل الشرك في آيات كثيرة،فلا يستوي الكامل والضعيف ومن يخلق ومن لا يخلق .

م(٢٠):من يخلق لابد أن يُعبد ومن لا يخلق لا يحق أن يُعبد والله الخالق وحده:

ومن أدلة أن المعبود لابد أن يكون خالقا ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الأحقاف: ٤ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ الحج: ٧٣ ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٦ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢. ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾.

قال ابن القيم :(فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر) مختصر الصواعق ٧٢ . وتقدم كلام ابن كثير .

م (٢١) : أسباب العبادة الشركية التي نفاها الله ﷻ :

قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون عباد الأوثان الملك والشراكة والمظاهرة والمعاونة والشفاعة ، وقد بينها الله تعالى في آية سبأ في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

م (٢٢) : طرق عبادة المخلوق وطلب شفاعته :

الطريق الأول: طريق العوام:وهم من يطلب من معبوده أن يشفع له عند الله .

الثاني : طريق الفلاسفة: ممن يعتقد أن المعبود يحصل النفع منه بمجرد القرب منه ببركة الفيض من الإله، بحسب يقين عابدها وتعلقه كالشعاع المنعكس في المرآة.

م (٢٣) : مفاسد عبادة غير الله :

١ - أن فيها التجاءً وتوجهاً وافتقارا لغير الله .

٢ - أن فيها إهانة العبد لنفسه حين يترك عبادة الله إلى عبادة مخلوق مثله.

٣- تضييع لمعنى العبودية لله التي هي أشرف صفات العبد وأعلى مقاماته .

٤ - أن فيه هضماً لحق الربوبية وإبطالاً لمقتضياتها وترك تعظيم الرب وتقديره .

٥ - نسبة الألوهية للمخلوق ووصفه بالربوبية والكمال واستحقاق للعبادة .

٦ - تنقص جناب الربوبية وذلك بترك عبادته لأن غيره أنفع وأقدر وأجوب.

٧- أن فيها شكاية الرب الرحيم على المخلوق .

٨- أن فيه إساءة الظن بالله وعدم تقديره.

٩- أن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك باعتقاد أنه محتاج لواسطة تشفع عنده، كما أن فيه تشبيه المخلوق بالخالق وذلك بإعطائه صفات الألوهية وأنه يدعى.

١٠ - أن دعاء وعبادة غير الله من الشرك المخرج عن الإسلام والكفر البواح .

١١ - تفويت الخير من الله والثواب وإجابة المطلوب .

١٢ - خسران رضا الله تعالى والجنة وإيجاب سخطه والنار.

١٣ - أن من دَعا غير الله فقد عظم وخضع وذل وأنكسر وافتقر لمخلوق مثله.

١٤ - من دعا غير الله فإنه لم يعط الله حقه في اسمه الرحيم والعليم والقدير .

١٥ - أن اعتقاد أن الشرك أمر الله به في غاية الافتراء والكذب على الله ﷻ .

١٦ - أن في دعاء الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم عدوان عليهم .

١٧ - بطلان وفساد وضياع عبادتهم ودعائهم وتشفعهم.

م (٢٤) : العبادات مبناها على التوقيف لا الابتداع :

البدعة هي ما أحدثه الناس مما لا أصل له في الشريعة .

وفي البدع طعن في الله ورسوله ودينه حيث يلزم منه أن الدين والشريعة ليست بكامله ولم يشرع الله ما يصلح لهم والله ﷻ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري .

وقال ابن مسعود ﷺ: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) .

وليس في الإسلام بدعة حسنة وما يستدل به المبتدعة من قول عمر ﷺ عن صلاة التراويح (نعمة البدعة هذه)، فلا حجة فيه لأن التراويح فعلها الرسول ﷺ فليست بدعة ثم فعل عمر من السنة فيكون بهذا مراده بالبدعة الحسنة في اللغة .

ومن أمثلة البدع: الاحتفال بالمولد النبوي والعيد الوطني وصلاة الرغائب والصلاة والصدقة عند القبور والبناء عليها وزخرفة المساجد وغير ذلك .

قوله : (والدليل – الدعاء– قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ .

وفي الحديث: " الدعاء مخ العبادة ". والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر ٦٠.

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ .

ودليل الرجاء: قوله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

ودليل التوكل : قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣، **وقوله:** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣ .

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠.

ودليل الخشية قولة تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ البقرة: ١٥٠/ المائدة: ٣.

ودليل الإنابة قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ الزمر: ٥٤

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥.

وفي الحديث " إذا استعنت فاستعن بالله ".

ودليل الاستعاذة قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١.

دليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ الأنفال٩.

ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

ومن السنة " لعن الله من ذبح لغير الله " .

ودليل النذر قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ الإنسان: ٧) .

هذه الجمل بيّن فيها المؤلف بعض أفراد العبادة ، فإليك بيان مسائلها.

مبحث : أعمال الألوهية والعبادة

وهذه جملة من العبادات التي أمر الله بها وأن تصرف له وحده ولا يشرك معه أحد فيها ، منها ما ذكر الشيخ وغيرها فاحرص على القيام بها وتوحيد الله بها:

١- الخوف :﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥

الخشية الرهبة الوجل الهيبة الإشفاق الحذر، والتقوى والعفة وترك الحرام :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ التوبة: ١١٩.

٢- الخضوع والخشوع والإخبات والطمأنينة والسكينة .﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هود: ٢٣ ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٢٨ ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ . ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٦.

٣- الرجاء والرغبة والطمع وحسن الظن في رحمة الله.

﴿ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

٤- المحبة والولاء: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

٥- التوكل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣.

٦- الإخلاص:﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ البقرة: ١٣٩ ﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦.

٧- الرضا: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

٨- التعظيم والإجلال والأدب مع الله ﷻ.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٣٠ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الأنعام: ٩١

٩- التوبة والإنابة والإوابة والإواهة والاستقامة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ النور: ٣١﴿ وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ١٧﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود: ٧٥﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾ الروم: ٣١﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ق: ٣٢﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ هود: ١١٢.

١٠- الشكر والمدح والحمد والثناء والذكر والتسبيح والاستغفار : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى ﴾ البقرة: ١٥٢﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ طه: ١٣٠﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ نوح: ١٠.

١١- الصبر: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦

١٢- اليقين :﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤

١٣- القيام والركوع والإنحناء والسجود والصلاة والزكاة.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لقمان: ٤﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ .

١٤- النذر والوفاء به ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ الإنسان: ٧ ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ الحج: ٢٩.

١٥- الصيام :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣

١٦- الطواف والحلق والإحرام والحج والاعتكاف.

﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .

١٤- الذبح: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢

١٥- الصدقة: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الرعد: ٢٢

١٦- التصديق: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ القيامة: ٣١

١٧- الصدق: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٨﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

١٨- الإسلام والإيمان : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩

١٩-الطاعة الاستجابة المسابقة المسارعة التنافس في الخير : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ آل عمران: ١٣٢ ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٦١.

٢٠- التبرك بما شرعه الله : ﴿ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾ فصلت: ٤٤ .

٢١- الاهتداء وطلب الهداية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴾ محمد: ١٧.

٢٢- الدعاء والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والتوسل والالتجاء .

﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ القصص: ٨٨ ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ ﴾ الأعراف: ١٢٨ ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ النحل: ٩٨ ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾ الجن: ٦ ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ الأنفال: ٩.

٢٣- الحكم والتحاكم والطاعة: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾.

٢٤- الجهاد والهجرة والأمر بالمعروف والدعوة: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٧٨ ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ الأنفال: ٧٥ ﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ الحج: ٤١ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ النحل: ١٢٥ ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ العصر: ٣.

٢٥- الإحسان والعدل وصلة الرحم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد: ٢١.

فهذه العبادات وغيرها هي أعمال الألوهية فيجب أن يوحد الله بها ولا تصرف لغيره. وكل فعل أو قول أو اعتقاد يؤديه العبد ويتعبد الله به ويتقرب به إليه مما أمر به ورضيه وأحبه يدخل فيه التوحيد والشرك ويعتبر من أفراد توحيد الألوهية .

وقد بينا المسائل المتعلقة بهذه العبادات في شرحنا للنواقض ، وهذا ملخصها .

مسألة : أقسام العبادات :

الأول : العبادات القولية :

١- الدعاء* والتوسل والاستغاثة وطلب الشفاعة. وهذا عند كل المشركين .

٢- المدح والشكر والثناء والحمد والتمجيد والتعظيم والذكر والتسبيح .

وهذا الشرك يعرض الكثير عن ذكره ولم أر من أفرده ببيان مع انتشاره وتنوعه وكثرته وكون كثير من الناس يقع فيه . وقد فصلنا القول فيه في شرح النواقض.

القسم الثاني : العبادات البدنية التقرب بالأعمال والتنسك بالجوارح:

الصلاة والقيام والركوع والسجود والاعتكاف والمجاورة والحج والطواف والذبح والنذر والصيام والتقبيل والتمسح والتبرك وتجريد اللباس وحلق الشعر.

معنى النسك : هو التعبد وأكثر ما يطلق على الذبح والحج .

الجامع لهذه العبادات :الخضوع والتذلل والتعظيم. وكل هذه الأمور والأفعال عبادات يحبها الله ويرضاها وكلها مقربة إليه وفيها صفة التعظيم للرب والخضوع من العبد، لذا أمر الله بها وأثنى على المتصفين بها وذم من فعلها لغيره وحكم بكفره.

ومن العبادات البدنية من وجه :الحكم والتحاكم والطاعة .

مسألة: من ترك العبادات بالكلية بحيث لا يقوم بأي عبادة بدنية مطلقا فهذا كافرا خارج من ملة الإسلام التي تقوم على الاستسلام والانقياد والتذلل لله تعالى .

تنبيه : بعض العبادات تشمل أصنافاً وتدخل في أكثر من نوع.

فالصلاة فيها اعتقاد وقول وعمل ومثلها الحج والتعظيم والنذر وغيرها.

* يعتبر الدعاء أهم العبادات ، ولهذا قال النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .
أما حديث:(الدعاء مخ العبادة) عند الترمذي الذي أورده المؤلف ففي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

القسم الثالث : العبادات القلبية : الإخلاص والنية والإرادة ، المحبة ، الخوف، الرجاء ، التوكل ، التوبة والإنابة واللجوء، والخضوع والتعظيم .

عبادة المحبة : المقصود بالمحبة محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الدين ومحبة التوحيد ، ومحبة الموحدين وبغض ما خالف ذلك .

المحبة تستلزم جميع العبادات والعبادات بدونها غير مقبولة .

المحبة كغيرها من العبادات التي تزيد وتنقص ويتفاوت الناس فيها .

محبة الله تستلزم طاعة الله ومحبة ما يحبه الله واتباع الرسول ﷺ والولاء والبراء .

الناس في محبة التوحيد أقسام: من يحب التوحيد وأهله ويبغض الكفر وأهله وهم أهل التوحيد ، من يحب الشرك أو أهله أو يبغض التوحيد أو أهله.

أقسام المحبة :

١ – المحبة الطبعية العادية الفطرية:كمحبة الوالد والولد والمال.

٢– المحبة التعبدية :وهي محبة الله المتصفة بالتذلل والخضوع.

٣– المحبة اللزومية : وهي المحبة في الله ولله.

٤ –المحبة الشركية : وهي محبة الأنداد والمحبة التعبدية لغير الله .

عبادة الخوف :

أسماء الخوف: الخوف – الخشية – الرهبة – الوجل – الفزع الرعب الفرق.

وأكملها التقوى ثم الخشية والرهبة والتقوى ترك المعاصي خوفاً من الله .

ومن آثار الخوف من الله ولوازمه : الإشفاق من عذابه والحذر من غضبه ومراقبة الله وترك عصيانه والإقبال على طاعته ومهابته والوجل من عدم القبول .

الفرق بين الخوف والخشية :

١ - الخوف خوف من الأثر والخشية خوف من المؤثر .

٢ - الخشية خوف وزيادة إذ فيها العلم بالمخاف منه والحذر منه وتعظيمه .

الفرق بين الخوف والرهبة :

١ - أن الرهبة تثمر عملاً واحتياطاً وأما الخوف فقد يثمر وقد لا يثمر .

٢ - أن الرهبة مدة أثرها طويل والخوف مدة أثره قصير .

أنواع الخوف :

١ - الخوف التعبدي التألهي : وهو الخوف من الله ومن وعيده وعقابه.

٢ - الخوف الشركي (خوف السر) : وهو صرف الخوف التعبدي لغير الله، فيخاف العبد من المخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله .

٣ - الخوف المحرم : وهو ترك أمر الله وفعل معصيته مخافةً من المخلوقين .

٤ - الخوف الطبعي الجِبلّي كالخوف من السبع.

عبادة الرجاء :

أسماء الرجاء والألفاظ المقاربة له: الرغبة والأمل والتوقع والأمنية والبُغْية والطمع وحسن الظن . ويضاد الرجاء القنوط واليأس .

ويجب الجمع بين الخوف والرجاء .

عبادة التوكل :

تعريف التوكل وحقيقته :

والتوكل على الله يكون بالاعتماد عليه سبحانه وتفويض الأمر إليه والالتجاء إليه والوثوق به، وعدم الالتفات واللجوء لغيره، والاستغناء به تعالى والاستكفاء به عن غيره في قضاء الحوائج، والثقة به، والاستعانة به والاستسلام له، والتعلق به، والرضى بقدر الله، والطمأنينة به والسكون إليه وقطع علائق القلب بغير الله .

ومن أسمائه : الحسب . التفويض .الاستكفاء .الاعتماد . التسليم . الثقة .

وينقسم إلى : التوكل التعبدي والتوكل الشركي وهو تفويض الأمر للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

مسألة : أقسام العبادات القلبية التي من جنس اللجوء إليه والتذلل لله ثلاثة:

١- التعظيم والتوقير والتقدير والإجلال . ويدخل فيه حفظه ومراقبته .

٢- الذل والخضوع . ومما يدخل في هذا الجنس :الذل لله والخضوع له والإخبات له والسكينة أو الخشوع له والخنوع الاستكانة التضرع التواضع الاستخذاء الخنوع التقوى والسكون والإطمئنان والتواضع .

ومما يستلزمه هذا المعنى : الانقياد والإذعان والامتثال والالتزام والطاعة والإسلام والاستسلام والتسليم والإتباع والانصياع والتدين .

٣- التوبة والرجوع واللجوء . ومما يدخل في هذا الجنس : التوبة والإنابة له والإوابة والإواهة والرجوع إليه وما في معنى هذا الباب وما في معنى هذه العبادة .

الإنابة تزيد عن التوبة أن فيها إقبالاً وعملاً بعد التوبة فهي أكمل .

والإنابة ضربان: إنابة لربوبية الله وهذه يشترك فيها كل الخلق ويدل لها: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ الروم: ٣٣. وإنابة ألوهية: دليلها: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ الزمر: ٥٤، وهذه هي المتعلقة بالمؤمنين بألوهية الله وعبادته.

ومن العبادات القلبية المستلزمة التوبة والإقبال على الله: الرغبة والطمع والرهبة والتضرع والإنقطاع له والتبتل له والتورع له وإرضائه وذكره والأنس به.

فائدة: هذه أجناس العبادة: جنس التذلل وجنس التوبة والإوابة وهي كجنس التوكل وجنس الخوف وجنس المحبة وجنس الرجاء وجنس الإخلاص والنية وجنس الدعاء وجنس الصبر وجنس الشكر والثناء والمدح والحمد وجنس التنسك فهذه أجناس العبادات التي ترجع فيها جميع العبادات القولية والقلبية والعملية.

والجامع لهذه العبادات : الذل والخضوع والتعظيم والالتجاء لله تعالى .

ويضاد هذه العبادات :الكبر والإعراض والتولي والامتناع .

قاعدة : كل عبادة أمر الله أن يعبد بها فعلها المشركون مع آلهتهم ومعبوداتهم .

قاعدة : ترابط العبادات :

كل عبادة من العبادات تستلزم عبادات أخرى ولها علاقة ببقية العبادات .

قواعد : كل العبادات لها تعلق بالربوبية .

مسألة : درجات هذه العبادات وأقسام أحكامها:

منها الأصل الذي لا يقبل الإسلام إلا به ويكفر تاركه .

ومنها الواجب ومنها الكمال الذي يستحب ولا يأثم من لم يأت به .

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام

قوله : (الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة . وهو :
الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله.
وهو ثلاث مراتب :
الإسلام ، والإيمان ، و الإحسان .
وكل مرتبة لها أركان .
فأركان الإسلام خمسة :
شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .
وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، و صومُ رمضان، وحجُّ بيت الله الحرام).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : الأصل الثاني من الأصول الثلاثة وهو دين الإسلام، وبيّن حقيقته، وسنبين هنا حقائقه ونجلي مسائله ونشرح كلام الشيخ ليتضح ما هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من عبيده سواه وذلك في المبحث الآتي . فإليك البيان :

مبحث: الإسلام

المسألة الأولى : تعريف الإسلام في اللغة :

الإسلام مشتق من الفعل سَلِم يسلم إسلاماً وتسليماً واستسلاماً ومسالمة.

وفعل سلِم في اللغة يدور على معنيين :

١- برء ونجا ووقى وخلص :

ومن هذا المعنى اسم الله عز وجل السلام فهو المبرأ السالم الخالص من العيوب والنقائص، والمسلّم لغيره المخلص والواقي والمنجي، وسميت الجنة دار السلام لسلامتها وخلوصها من الآفات،وسلمك الله وقاك ونجاك .

٢- انقاد وأذعن وأطاع والتزم وامتثل وأخذ :

ومن هذا الإسلام وهو الانقياد والطاعة لله وامتثال أمره والتزامه والإذعان له وإظهار الخضوع والقبول وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ ، وهذا الذي يحقن الدم فإن كان معه تصديق ومحبة وإقرار بالقلب سمي إيمانا .

وهذا المعنى الإذعان والانقياد يعود في النهاية للمعنى الأول فإن الإسلام الذي هو الانقياد سمي بذلك لبراءته من الامتناع ولأنه يسلم ويخلص من الإباء والترك والاستكبار . ذكر ذلك الأزهري وغيره من أئمة اللغة .

م (٢) : **الألفاظ المرادفة للفظ الإسلام :** الطاعة - الاستسلام - العبادة - الانقياد - الإذعان - الامتثال - الالتزام - الشريعة - الدين .

فكل هذه العبارات يجتمع فيها معنى الانقياد والتسليم والاستسلام والإذعان، فهي ألفاظ لمعنى واحد وتتقارب كثيرا في الدلالة .

م (٣) : الإسلام يستعمل على وجهين :

١ – متعدي: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ آل عمران: ٢٠ وحديث: (أسلمت نفسي إليك).

٢– لازم كقوله : ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ البقرة: ١٣١ .

م (٤) : معاني الإسلام :

الإسلام له معنيان في الشرع تدور على اشتقاق أصل الكلمة اللغوي:

الأول : الانقياد والاستسلام لأمر الله .

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وعنوانه قول **لا إله إلا الله .**

وهذا الإخلاص بالتوحيد داخل في الانقياد والاستسلام .

م (٥) : أقسام الإسلام :

الأول : الكوني القدري الربوبي : طوعاً وكرهاً وهذا لا ثواب فيه يدل له آية:

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ آل عمران: ٨٣ أي خضع وانقاد.

الثاني : الإسلام الشرعي الديني الأمري الألوهي: وهو اتباع الأمر والانقياد للشرع الذي أمر الله عباده به ، وهذا الإسلام الذي يثاب العبد عليه ويحمد عليه .

م (٦) : المراد بالإسلام في الشرع :

التعريف الشرعي للإسلام يحمل نفس المعنى اللغوي القائم على الانقياد.

قال الأزهري : (يقال فلان مسلم فيها قولان :

أحدهما هو المستسلم لأمر الله . والثاني هو المخلص لله العبادة) .

وقال الرازي في تفسيره : الإسلام في أصل اللغة يأتي لثلاثة معاني:

١ – الانقياد والمتابعة ٢– السلم والسلامة والبراءة ٣– الإخلاص في العبادة .

وأفضل من عرف الإسلام وأتى بحقيقته وأوضحه وفسره وبين مبادئه وأصوله وقواعده وأركانه، بتعريف جامع مانع الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله :

هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

فجمع بتعريفه الحقيقة الشرعية للإسلام وأصوله، ووافق تعريفه معانيه في اللغة التي ذكرها اللغويون من الإخلاص والانقياد والسلامة والبراءة .

شرح تعريف الإسلام :

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد :

ومعناه : الإذعان والذل والخضوع لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وصفاته .

والاستسلام لله بتوحيده في ربوبيته: بأن يعتقد ويقر ويؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه وأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء مما يثمر تعظيمه .

والاستسلام لله بتوحيده في أسمائه وصفاته: باعتقاد الكمال المطلق المقدس له وحده من جميع الوجوه، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإثبات كل ما أثبته الله لنفسه من دون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف .

والاستسلام لله بتوحيد ألوهيته : يتحقق بالذل لله والخضوع له وطاعته والانقياد له بعبادته وحده لا شريك له والكفر بكل ما يعبد سواه والبراءة منه، والقيام بحقه والالتزام بدينه وامتثال شرعه وحكمه وأمره وعدم مخالفة ذلك.

فائدة: لا يقبل استسلام لله ولا إسلام وانقياد بلا توحيد، فلو استسلم العبد لله ولغيره لكان مشركاً ولا يعتبر مسلماً، فالمسلم الحق هو من لا يعبد إلا الله ولا يعظم إلا الله، فكما أنه ليس له رب سوى الله فكذلك لا معبود له ولا إله غير الله .

فائدة : قيام الاستسلام لله بالتوحيد على القول والعمل : ولا يكفي أحدها، ولا يسمى المسلم مسلماً بما في قلبه من التوحيد، بل لابد من قوله التوحيد بلسانه وعمله التوحيد بجوارحه ظاهراً، حتى يتحقق منه وصف الإسلام المقتضي للإستسلام الذي هو عمل وقول، فمن لم يقم به الركن العملي فليس بمستسلم، ومن ثم ليس بمسلم والإسلام هو أمر عملي ظاهر كما سيأتي وليس في الباطن .

فائدة : لا يكون التوحيد بدون استسلام : كما أن الاستسلام بلا توحيد لا يقبل وصاحبه يعتبر مشركاً غير مسلم، كذلك التوحيد بلا استسلام لا يقبل ويعتبر صاحبه كافرا مستكبرا. وتقدم في الانقياد كلام ابن تيمية .

ووجه إدخال الاستسلام على التوحيد، ليتبين الجانب التعبدي الانقيادي القائم على العمل الظاهر وليس مجرد الباطن وهذا من سعة فقه الإمام .

فائدة: الاستسلام القدري القهري لا يدخل في العبادة ولا هو المقصود .

ثانيا: الانقياد له بالطاعة : هذا يعتبر الركن الثاني للإسلام :

ومعناه : فعل الواجبات والأوامر وترك المحرمات والنواهي. وبعبارة أخرى عبادة الله وطاعته التي هي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال .

والانقياد هو الخضوع والامتثال وليس مجرد القبول والإقرار فهذا لا يكفي .

والانقياد يقوم على ركنين ركن قلبي باطني وركن عملي ظاهر .

وهذا الركن العملي هو الفيصل بين أهل السنة والمرجئة، وهي مسألة الأعمال ودخولها في الإيمان وكفر تاركها بالكلية، فالإسلام والدين بلا انقياد يجعله دينا أجوفا لا فائدة منه ولا هيبة له ولا معنى فيه ولا ثمرة به وهو كعدمه .

فائدة : لا تقبل الطاعة بدون انقياد :

فالانقياد والطاعة قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ويفسر كل منهما الآخر، فطاعة الله بدون انقياد يورث البدع وعدم المتابعة لرسوله وامتثال شرعه وأمره وفعل ما أمر، كما أن الانقياد لله بدون طاعة يورث الكبر والإباء والاستكبار عن عبادته والإعراض عن دينه، والعكس كذلك .

فائدة : دخول أركان الإسلام في الانقياد بالطاعة : أركان الإسلام ومبانيه القائمة على الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبمجموعها يحصل الانقياد بالطاعة الذي هو الإسلام، وبالشهادتين اللتين هما التوحيد يحصل صحة الإسلام وركنه الأول وهو الاستسلام لله بالتوحيد .

فائدة : دخول توحيد المتابعة في الانقياد بالطاعة :

توحيد المتابعة القائم على شهادة أن محمداً رسول الله : لأن عبادة الله لا تقبل إلا إذا كانت موافقة لما جاء به رسوله، وقدمنا الكلام عن الانقياد للرسول ﷺ .

ثالثا: البراءة من الشرك وأهله*: وتقدم الكلام في تأصيل هذه المسألة ص٢٥.

تنبيه:جاء ببعض النسخ الخلوص من الشرك بدل البراءة وهي غلط،والتعبير بالبراءة أعم وأفضل لأن البراءة تشمل التخلص وغيره، كما أنها الواردة في القرآن.

م (٧) : لا يصح الإسلام ولا يقبل ولا يعتبر إلا بالكفر بالطاغوت .

م (٨) : أدلة الإسلام من القرآن والسنة :

ورد الإسلام في آيات كثيرة من كتاب الله منها:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ آل عمران: ٨٣ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الأنعام: ١٢٥ ﴿ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ التوبة: ٧٤ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧ ﴿ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨ .

وهذه الآية من أعظم الآيات التي بينت الإسلام وفسرته وذكرت شيئاً من خصائصه وأن الله تعالى اجتبانا واصطفانا به .

ثانيا: الأدلة من السنة المفسّرة للإسلام :

١- قال ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري مسلم .

٢- عن عمرو بن عَبَسَه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما الإسلام؟ قال: (أن تسلم قلبك لله ﷻ وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) . قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت). رواه أحمد. وفي حديث زيادة:(وتوجه وجهك إلى الله).

٣- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً وفيه : (فتجيء الأعمال يوم القيامة .. ثم يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام . فيقول الله تعالى : (إنك على خير ، بك اليوم آخذ وبك أعطي). رواه أحمد.

٣- قال ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد في المسند.

م (٩): إطلاقات الإسلام إلى عام وخاص :

الأول : الإسلام العام :وهو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً، وهو التوحيد وعبادة الله وحده والكفر بالطاغوت وقول لا إله إلا الله وعموم الانقياد لشرع الله وامتثال أوامره .قال تعالى عن الأنبياء :﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾.

الثاني : الإسلام الخاص :

وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وبعث به، يدل له قوله تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران ٨٥ . ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣.

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري . فالتوحيد واحد والشرائع شتى .

م (١٠) : أنواع الإسلام : حقيقي وحكمي :

الإسلام الحقيقي : هو القائم بالمسلم والذي يوافق باطنه ظاهره، ويدخل به الجنة، وهو ضد الكفر ويعتبر مسلماً حقاً وحكماً ويترتب عليه أحكام الآخرة.

الإسلام الحكمي : وهو الذي نحكم على صاحبه وفاعله بالإسلام الظاهر دون الباطن وصاحبه أتى بما يحكم بإسلامه ونجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يكن في الحقيقة مسلماً عند الله بل يكون مرتداً كافراً أو مشركاً أو منافقا .

ولا يعني حكمنا عليه بالإسلام أننا لا نكفره متى فعل مكفراً وظهر منه كفراً.

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه.

فجملة : (وحسابهم على الله) : تدلان على الإسلام الحكمي، وأن الحقيقي هو ما يحاسب عليه الله بالجنة ويقبله.

وقوله : (إلا بحقها) : يدل على أن من فعل كفراً وأظهره أو علمنا به فإن قوله لكلمة التوحيد لا تعصم دمه، وكذا لو زنا وهومحصن أو قتل فإنه يقتل ويهدر دمه .

م (١١) : لا يقبل الإسلام إلا بإيمان يصححه :

وهذه قاعدة مقررة لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا يكون إيمان إلا بإسلام. فلابد للإسلام حتى يكون عند الله مقبولاً من إيمان يصححه، وهو أصل الإيمان وليس الإيمان الكامل، كما أنه لابد للإيمان حتى يقبل من إسلام وعمل يصححه .

ويدل لهذا الأصل الموجب لاجتماع الإيمان والإسلام قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ .وحديث جبريل : ما الإسلام وما الإيمان وفي آخره هذا جبريل جاء: يعلمكم أمور دينكم . مما يدل على أنه لا بد من اجتماعهما.

م (١٢): مراتب الإسلام :

الأولى : الظاهر من القول والعمل وهو المباني الخمسة .

الثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن وهذا الإسلام الحقيقي .

قال ابن تيمية في الإيمان : (الإسلام يجمع معنيين :

الأول: الانقياد والاستسلام .والثاني: إخلاص ذلك.وله معنيان :

الأول: الدين المشترك وهو عبادة الله لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء.

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج .وله مرتبتان :

إحداهما : الظاهر من الأقوال والعمل وهو المباني الخمسة .

والثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن) .

م (١٣) : كفر من زعم صحة دين اليهود والنصارى وأنهم مسلمون :

من الكفر البواح المجمع عليه اعتقاد صحة أي دين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ. **يدل لهذا الأصل** قوله ﷻ:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران:٨٥ ، وقول الرسول ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) رواه مسلم. وقد أجمع العلماء على كفر من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى .

إلا أن هذا الأصل العظيم وجد من يسعى لهدمه من المتسمين بالمفكرين وأدعياء السلام والحوار والتعايش ولقاء الحضارات والتقريب بين الأديان، فزعموا أن اليهود والنصارى مسلمون بنص القرآن وليسوا كفارا وأنهم ناجون من النار وأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية متبعة يجوز إتباعها وهذه ردة والعياذ بالله.

م (١٤) : خصائص الإسلام ومزاياه:

١- أنه دين عالمي للعرب والعجم والإنس والجن .

٢- أن الله تعهد بحفظه ونصرة أتباعه واصطفى أصحابه.

٣- أنه ناسخ لجميع الأديان .

٤- أنه دين يسر وسماحة وموافق للفطرة ويلائم جميع الأحوال والأزمان.

٥- لايقوم إلا بالجهاد والكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار وولاء المؤمنين.

٦- أنه حنيف عن الشرك ولا يصح إلا بالكفر بالطاغوت.

٧- أنه لا يصح إلا بالعمل والانقياد .

٨- أن الله شهد بأنه هو الدين الذي عنده وأن الله رضيه وأتمه وأكمله .

٩- أن الله الذي سمانا مسلمين لاغيره ، والدخول فيه اجتباء من الله وفضل.

١٠- أن أهل الإسلام أهل الشهادة على كل الأمم .

١١- جعل الله ﷻ الإسلام هو العروة الوثقى كما في آية لقمان.

م (١٥) : علاقة الإسلام بالمسميات الشرعية :

١- علاقة الإسلام بالعبادة : العبادة أعم من الإسلام، فالإسلام هو بمعنى الانقياد والالتزام والتسليم وهو بذلك يدخل في عموم العبادة. وقريب منه الطاعة .

٢- علاقته بالدين : الدين من دان والتزم به وانقاد فهو بمعنى الإسلام، إلا أن الدين ينقسم إلى دين حق وهو الإسلام ودين باطل وهو كل دين غير الإسلام .

٣- علاقته بالشريعة : الشريعة بمعناها الخاص اسم لكل ما جاء عن الله ورسوله، إلا أن إطلاق الشريعة على الأوامر والأحكام العملية أكثر.والشريعة من

عند الله ﷻ فهي أمره وفعله، فيوصف الله ﷻ أنه شرع للناس ، ولكل رسول شريعة وشريعة محمد ﷺ هي الإسلام ، وليس شرائع الرسل الإسلام الخاص ولكن دعوا للتوحيد الذي يوافق الإسلام العام . ويقال في الشريعة مثلما يقال في الدين .حيث يوجد شرائع باطلة ، ويوصف الله بالتشريع والدين ولا يوصف بالإسلام.

٤- علاقته بالتوحيد : التوحيد جزء من الإسلام والإسلام أعم منه فيتضمن التوحيد والانقياد بالطاعة بفعل الفرائض من الصلاة وما تحتها وترك المحرمات .

وإن كانت الطاعات والقربات والفرائض فعلها من لوازم التوحيد .

م (١٦) : علاقة الإسلام بالإيمان وحالات ذكر الإسلام :

قال بعض العلماء أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، والصحيح أنهما يختلفان .

يدل له أنه لما سُئل النبي ﷺ أي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) رواه أحمد.

ثم اختلفوا في الفرق بين الإسلام والإيمان على أقوال أصحها: أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والانقياد والكلمة والشهادتان.والإيمان هو ما بالقلب من التصديق والإقرار والمحبة . ويدل لذلك ما رواه أحمد: (الإسلام علانية والإيمان في القلب) .

م (١٧) : الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى وفسر كل واحد منهما بالآخر . ومن الأدلة على التفريق :

قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ الحجرات: ١٤ ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الذاريات٣٦ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ الأحزاب٣٥

وفي الصحيحين قوله ﷺ :لسعد لما قال فلان مؤمن، قال : (أو مسلم).

وقوله ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد في المسند.

وحديث جبريل في التفريق بين الإسلام والإيمان وغير ذلك .

م (١٨) : **مراتب الدين** :الإسلام والإيمان والإحسان .

أعلاها الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام .وسميت مراتب لكونها ليست في منزلة واحدة بل بعضها أفضل من بعض . وقد وضح هذا الأمر حديث جبريل وقوله ﷻ: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣٢.

م(١٩) : **قيام الإسلام والرضا به على الانقياد والعمل ولايصح إلا بالعمل .**

ومن قال من أهل العلم : الإسلام الكلمة فالمراد الذي يدخل العبد به في الإسلام هو الكلمة وهو قول الشهادتين، لا أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ولا أن العبد لا يؤاخذ بعدها بتركه الأعمال ومباني الإسلام .

م (٢٠) : **الإسلام يتبعض ويستثنى منه ويزيد وينقص** . الإسلام منه الكامل ومنه الواجب والمجزئ ومنه الناقص مع صحته فهو مثل الإيمان يزيد وينقص ويتبعض . ويصح الاستثناء منه إذا قصد كماله ولم يقصد الشهادتين وأصل الإسلام.

م (٢١) : **هل يصح مسمى اليهودية والنصرانية :**

هي من المسميات المبتدعة في دينهما ، فإن الله تعالى لم يرض لهما إلاّ الإسلام .

عن سلمان ﷺ: قلت: يارسول الله ما تقول في دين النصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا خير فيهم ولا في دينهم). رواه الحاكم وقال الذهبي في السير جيد الإسناد .

قال أنس ﷺ: (رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم ، وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله ،وتركوا ملة إبراهيم: الإسلام) أخرجه الطبري .

مبحث : الدين

م (١): **تعريف الدين** : الدين يطلق على الإلزام والالتزام وعلى الطاعة والانقياد والخضوع وعلى ما يتدين به العبد من حق أو باطل وعلى القهر والاستعلاء والغلبة وعلى الجزاء والمكافأة والحساب وعلى العادة والشأن والسيرة والطريقة .

والدين: ما يتدين به العبد ويلتزمه ويخضع له وينقاد له، والدين لله طاعته.

قال ابن تيمية : (الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده).

م (٢): **الدين قريب من معنى العبادة والإسلام والطاعة والانقياد والملة.**

م (٣): **الله ما خلق الخلق إلا لينقادوا له بالدين الخالص له وحده .**

م (٤) : **الدين يضاف إلى الله وإلى العبد :**

قال ابن تيمية: (الدين يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف لله فلأنه المعبود المطاع). ١٥ / ١٥٨ .

ودليل إضافة الدين للعبد : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦ .

ودليل إضافة الدين لله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣.

م (٥) : التدين ضرورة فطرية وكل مخلوق له دين يدين به ومعبود يعبده .

م (٦) : **الدين قسمان:**

الدين الحق وهو دين الإسلام وغيره باطل، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي إذا الإسلام مصطلح خاص بدين الله فجعل الدين

واحدا وهو المقبول عنده ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩. وذم سبحانه الأديان الكفرية الشركية .

م (٧) : دخول التوحيد والشرك في الدين :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين له ونجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام:قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١ .وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين لله وحده لا شريك له : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٣ والفتنة هنا الشرك .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع ويسن الدين ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

قال الطبري:(الدين لله أي حتى تكون الطاعة والعبادة لله خالصة دون غيره).

مبحث: الشهادتان

شهادة التوحيد (لا إله إلا الله) وشهادة الرسول (محمد رسول الله)

قوله: (فدليل الشهادة.

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨.

ومعناها لامعبود بحق إلا الله وحده.

و(لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله،

(إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف: حقيقة كلمة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله).

وسنبينها ونشرح مراده رحمه الله بعدة مسائل في المبحث الآتي، فنسأله العون والتيسير وحسن البيان.

مبحث : شهادة أن لا إلــه إلا الله

المسألة الأولى : حقيقة الشهادة ومراتبها :

الشهادة لا تعتبر شهادة إلا إذا اشتملت على أربع مراتب .

الأولى : علم الشاهد بها ومعرفته لها واعتقاد صحة ما شهد به وثبوتها عنده .

الثانية : تكلم الشاهد بذلك ونطقه بها .

الثالثة : أن يعلّم الشاهد غيره ما شهد به ويخبره به ويبينه له .

الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويلزم غيره بما شهد به ويأمره بها ويحكم بها.

فشهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك سبحانه وتعالى وتكلمه به وإعلامه وإخباره وبيانه لخلقه وأمرهم وإلزامهم به .

وكذا شهادة المسلم بالتوحيد لا بد أن تقوم على هذه المراتب الأربع كما هو مقرر عند أهل السنة واللغة . ذكره ابن القيم وابن أبي العز.

المسألة (٢) : دخول الشهادتين في الإسلام والإيمان :

تدخل لا إله إلا الله في ركن الإيمان بالله القائم على الجانب الاعتقادي الباطن.

وتدخل في الإسلام القائم على الجانب العملي الظاهر والعمل بالتوحيد.

م (٣) : معنى كلمة لا إله إلا الله :

معناها لا معبود بحق إلا الله، هذا معنى هذه الكلمة ودلالتها، ومضمونها، لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود غير الله ﷻ فهو معبود باطل وعبادته شرك وكفر. لأن الإله معناه المعبود والألوهية هي العبادة ونفى الله أن يكون هناك معبوداً يستحق العبادة غيره تعالى وأن الآلهة والمعبودات التي يعبدها المشركون كلها باطلة فاسدة .

م (٤): الأصل في تفسيرنا كلمة التوحيد بأحقية العبادة ومصدر قولنا (بحق):

أولاً : أنواع الألهة :

١- الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون إلا لله وحده المستحق للعبادة وليس نفي وجود المعبود ، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبته غير منفية لكن المنفي استحقاقها العبادة، إذ أن عبادتها باطلة ولا تستحق أن تعبد .

٢- الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبد من دون الله ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

ثانياً : وجه الاتصاف بالحق والباطل .

اتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده السموات والأرض .

ثالثاً : من أين جاءت تسميت الآلهة بالحق والباطل ؟

الأدلة على التسمية بالحق والباطل وبيان ورودها في الشرع :

تعالى ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ لقمان: ٣٠ .

وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم﴾ الرعد: ١٤ .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الحج: ٦٢.

م (٥) : **أركان لا إله إلا الله** : لها ركنان : النفي والإثبات :

الركن الأول : النفي في [لا إله] : نفي الألوهية والعبادة (الكفر بالطاغوت):

المقصود به نفي كل إله ومعبود عبد في هذه الدنيا، فلا تنبغي العبادات لأي إله اتخذه الناس معبودا لهم إلا لله تعالى وحده ، والنفي في (لا إله) ليس متعلقاً بالوجود والماهية والكونية وإنما النفي متعلق بالأحقية والاستحقاق، أي أن الله تبارك وتعالى لا ينفي وجود آلهة تعبد وإنما ينفي وجود آلهة تستحق العبادة، يعني أن المنفي المعبودات بحق فلا توجد، أما التي تعبد بظلم وضلال وباطل فكثيرة، حيث سمى الله الأصنام آلهة والهوى إله وعيسى وأمه إلهين، وذلك لكونهم يعبدون ولكن يعبدون بغير وجه حق.

فجاءت هذه الكلمة لتنفي كل هذه المعبودات، ولتحرّم صرف أي عبادة لأي مخلوق، فيجب أن تكون عبادة المخلوق لله وحده ويجب أن يكفر بإلوهيته وعبادة كل ما سوى الله ويكفّر من يعبده ويقاتله .

وهذا الركن لا يدخل المرء الإسلام إلا به ولا تقبل كلمة لا إله إلا الله إلا بالإتيان به، فكم من الناس ممن يدعي الإسلام ويعبد الله ولا يعبد غيره تجده لا ينفي العبادة عن غير الله ولا يكفر بعبادة غير الله ولا يتبرأ من الآلهة والمعبودات التي تعبد ولا يكفّر أصحابها ! ، فلا يصير والحالة هذه قائلها من أهل الإسلام .

وكم نرى اليوم من لا يحقق هذا الركن حيث يخالط عبّاد القبور ومن يستغيث بالنبي ﷺ والأموات ثم لا يتبرأ منهم ولا يكفرهم ، ويرى المحاكم الوثنية التي تحكم بالقوانين الوضعية التي تصادم أحكام الشريعة ولا يكفر بها ولا يكفّر أصحابها .

الركن الثاني : الإثبات [إلا الله] إثبات الألوهية لله (الإيمان بالله وحده):

المقصود بهذا الركن إثبات الألوهية والعبادة بجميع صورها وأفرادها وأركانها لله وحده المعبود بحق لا شريك له، والقيام بواجبه سبحانه من عبادته وحكمه، والانقياد لأمره، ومحبته وولايته وعدم الاستكبار والاستنكاف عن عبادته.

م (٦) : ورد في النصوص التعبير عن النفي (لا إله) والإثبات (إلا الله) في كلمة التوحيد بعدة صيغ تحمل نفس المعنى، والأمران بمجموعهما يمثلان التوحيد:

١- لا إله / إلا الله . ٢- تعبد الله / ولا تشرك به شيئا .

٣- الإخلاص لله وحده وعبادته / لا يشرك به شيئا .

٤- يؤمن بالله/ يكفر بالطاغوت.٥- لا إله إلا الله/ وكفر بمايعبد من دون الله.

٦- يوحدوا الله .٧- عبادة الله .٨- إيمان بالله .٩- يخلصوا لله .

١٠- شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله .١١- إيمان بالله ورسوله.

١٢- الولاء والبراء : وهو ما جاء في آية إبراهيم التي أوردها المؤلف .

م (٧) : شهادة أن لا إله إلا الله ينقضها أمران :

الأول: ترك عبادة الله أو نفي جنس منها عن الله أو نفي استحقاقها لله.

الثاني: إثبات استحقاق أي نوع من أنواع العبادة لأي مخلوق .

فالأول هو الكافر والثاني هو المشرك ، وكل قول أو اعتقاد أو تصرف وعمل يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الردة .

م (٨) : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها .

ولا بد في قبول كلمة التوحيد من ترك الشرك قصدا . وتقدم الكلام .

م (٩) : مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله :

قولها باللسان والعمل بمقتضاها والالتزام بها دلت عليه من عبادة الله وحده وطاعته والإذعان لأمره والانقياد لشرعه والتسليم لرسوله والكفر بعبادة كل ما سواه وترك كل العبادات المبتدعة وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله والبراءة من المشركين والكفار ومعبوداتهم وكفرهم .

قال ابن القيم : (وروح هذه الكلمة وسرها إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ولا يحلف إلا باسمه ولا ينذر إلا له ولا يتاب إلا إليه ولا يطاع إلا أمره ولا يتحسب إلا به ولا يستغاث في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ولا يسجد إلا له ولا يذبح إلا له وباسمه ، ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله) الجواب الكافي ٢٣٣.

فائدة : شهادة التوحيد أعظم شهادة في الوجود وقد شهد بها الرب ﷻ .

م (١٠) : متى تنفع كلمة لا إله إلا الله صاحبها :

لا تنفع هذه الكلمة صاحبها وقائلها إلا إذا قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه ولا يكون ذلك إلا إذا أتى بثلاثة أمور :

١ - العمل بأركانها : الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وترك الشرك قصدا.

٢- الإتيان بشروطها السبعة، وستأتي .

٣- عدم الإخلال بها ولا الإتيان بناقض من نواقضها . وهي :

الشرك - اتخاذ الوسائط والشفعاء - بغض الله أو رسوله أو دينه أو شيء مما جاء به - الاستهزاء بشيء من الدين - الحكم بغير ما أنزل الله باعتقاد أن هدي غير الرسول أفضل من هديه وحكمه والعمل بغير الشريعة - من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ- السحر - مظاهرة الكفار على المسلمين - عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم - الإعراض عن الدين وعدم تعلّمه والعمل به .

وهذه القاعدة النافعة تخص المسلم الملتزم بها، أما الكافر فيدخل في الإسلام بمجرد قولها ثم إذا دخل في الإسلام والتزم به وعُرِّف بأركانه وقواعده طولب بذلك بأن لا ينقضها وأن يتقيد بشروطها وأركانها فإن التزم وإلا اعتبر كافراً .

م (١١) : كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل :

لما كانت لا إله إلا الله من التوحيد والتوحيد من الإيمان، والإيمان قول وعمل، كانت لا إله إلا الله تقوم على ثلاثة أركان .

الأول : قولها باللسان والنطق بها .

الثاني : اعتقاد معناها بالقلب بتصديقها ومحبتها وقبولها واليقين بها .

الثالث : العمل بها والالتزام بمقتضاها وأركانها وعدم ارتكاب ما ينقضها.

هذا وقد ظن الجهال أن حديث : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " ينافي أن تكون قولاً وعملاً ، وجعل المرجئة هذا الحديث عمدتهم فيما أتوا به من الباطل الذي أصلوه وهو أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مهما ترك ومهما عمل .

م (١٢) : شروط كلمة التوحيد : (لا إله إلا الله) :

أحدها : العلم المنافي للجهل .

الثاني : اليقين المنافي للشك .

الثالث : الصدق المنافي للكذب والنفاق.

الرابع : الإخلاص المنافي للشرك .

الخامس : المحبة المنافية للبغض .

السادس : القبول المنافي للرد .

السابع : الانقياد المنافي للترك والإعراض والتولي العملي .

وقد بينت المسائل المتعلقة بهذه الشروط في كتاب مستقل .

م (١٣) : هل لفظ الجلالة (الله) مشتق أو جامد:

القول الأول : أن اسم الجلالة (الله) مشتق من الإله المعبود .

قاله سيبويه والخليل والكسائي ونصره ابن القيم ، وهذا ما يفهم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما قال :" **الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين** " رواه عنه الطبري.

الثاني : أن اسم الجلالة (الله) علم على الذات فهو لفظ جامد وليس مشتق .

م (١٤) : دلالات لا إله إلا الله على الدين :

تدل كلمة التوحيد على التوحيد مطابقة .

وتدل على الإيمان بالله والربوبية والصفات والولاء والبراء تضمناً .

وتدل على بقية أركان الإيمان الخمسة وأركان الإسلام الأربعة الباقية ملازمة.

والمقصود أن لا إله إلا الله تدل على الدين كله بأحد الدلالات الثلاث .

م (١٥) : قيام كلمة لا إله إلا الله وأفعال الألوهية على ثلاث مقامات :

الأولى : النسك والتعبد :

ويقوم هذا القسم على أغلب العبادات الباطنة من المحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها والظاهرة من الدعاء والصلاة والصيام والسجود والقيام والركوع والطواف والذبح والحج والنذر والصدقة والجهاد والحمد والذكر ويدل لهذا الأصل أدلة منها : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨.

الثاني : الحكم والشرع والدين والطاعة :

ويقوم هذا المقام على الحكم بما أنزل الله ﷻ والتحاكم إلى شرعه ورفض ما سواه وطاعة الله ورسوله، وهذا المقام يدخل فيه شهادة أن محمدا رسول الله والتوحيد في متابعته والتسليم لحكمه. ومما يدل على وجوب التوحيد في الحكم والأمر والتشريع والطاعة والتحاكم: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤.

الثالث : الولاية :

ويقوم هذا المقام على الولاء والبراء في الله بموالاة الله ورسوله ودينه وأوليـاءه ومعاداة أعدائه والبراءة منهم ومن دينهم ومعبوداتهم،ومما يدل على وجوب التوحيد في الولاء: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المائدة: ٥٥ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام: ١٤.

قوله : (ودليل شهادة أن محمداً رسول الله .

قولـه تعـالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨.

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله :

طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله.

وسنبينها ونشرح مراده رحمه الله بعدة مسائل في المبحث الآتي .

مبحث: شهادة أن محمداً رسول الله (توحيد المتابعة)

المسألة الأولى : أسماء شهادة أن محمداً رسول الله :

١- تسمى شهادة أن محمداً رسول الله **بتوحيد المتابعة** أي متابعة الرسول ﷺ .

وقد ورد اسم المتابعة في مواضع من كتاب الله ﷻ منها : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ﴿ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ النحل: ١٢٣ ﴿ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾ طه: ٩٠ ﴿ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ البقرة: ١٤٣ ﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يس: ٢٠ ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ ﴿ وَٱتَّبِعُونِ ﴾ الزخرف: ٦١.

٢- توحيد الرسول .

٣- توحيد المرسَل .

وهو يدخل في عموم توحيد الله تعالى لأنه هو الذي أرسله فنوحد رسوله .

م (٢) : ورود مصطلح توحيد المتابعة في الشرع :

مصطلح المتابعة ورد في مواضع من كتاب الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾ آل عمران: ٥٣.

م (٣) : حقيقة المتابعة والانقياد للرسول ﷺ وكيفيته :

المتابعة هي : أن يمتثل العبد أمر النبي ﷺ وأن يفعل العمل على الوجه الذي فعله ﷺ وعلى وفق أمره . وتتحقق المتابعة بالإذعان لأمره والالتزام بطاعته، وعدم التولي عنه، واتباع كل ما جاء به، والعمل بسنته وهديه من دون زيادة ولا نقص، مع الرضا والتسليم في كل ذلك، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

وعصيان الرسول ﷺ والامتناع عن طاعته واتباعه والتولي عنه هو كفر بالله .

م (٤) : معنى شهادة أن محمداً رسول الله:

معناها : الإيمان الصادق الجازم بأن محمداً ﷺ رسول من رب العالمين وأنها تجب طاعته وإتباعه وتصديقه ومحبته والرضا به وامتثال أمره وحكمه وعدم تقديم أحد عليه ولا تفضيل هدي غيره عليه، وأنه ﷺ آخر الرسل.

ومما يجب أن يعلم أن الأخذ بهدي النبي ﷺ والمتابعة له داخلة في الإيمان بنبوة الرسول ﷺ وأنه مما يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله وتوحيد المتابعة والانقياد والتسليم له ، وأن من ترك هدي الرسول ﷺ آخذاً بهدي غيره أو فضّل هدي غيره على هديه ﷺ فقد نقض توحيد المتابعة وتوحيد الرسول ونقض شهادته وأبطلها فمن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ، متابعته وطاعته والانقياد له .

م (٥): مكانة شهادة أن محمداً رسول الله،وكونها تعد مع الشهادة ركنا واحدا:

لا تصح لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، ولذلك كانت الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تعتبر ركناً واحداً من أركان الإسلام .

م (٦) : الأدلة على وجوب متابعة الرسول ﷺ.

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ .

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ النساء: ٦٥ .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤ .

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣٢.

وقال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار) . رواه مسلم .

م (٧) : ما أرسل من رسول إلا لأجل أن يطاع ويعمل بشريعته ويتّبع ويوحد بالمتابعة ويوحد الله بالعبادة وينقاد أتباعه لأمره:

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء:٦٤ .

قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية: (فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة) ص:٢٠٠.

م (٨) : علاقة المتابعة (شهادة أن محمداً رسول الله) بالإسلام والإيمان :

شهادة أن محمداً رسول الله داخلة في الركن الأول من أركان الإسلام .

وكذلك تدخل في الركن الرابع من أركان الإيمان : الإيمان برسل الله .

والفرق بينهما أن المتعلق بالإسلام هو الإتباع والمتابعة للرسول ﷺ وتصديقه وطاعته وهذا متعلق بالعمل الظاهر والإسلام والانقياد والاستسلام.

أما المتعلق بالإيمان فهو التصديق بالرسل ومحبتهم وهذا متعلق بالباطن والقلب ، وما يستلزم ذلك من طاعتهم والعمل بشريعتهم وهذا الإيمان العملي.

فالإتباع والطاعة للرسول ﷺ تبحث في التوحيد المتعلق بأركان الإسلام .

والمسائل المتعلقة بالنبوات تبحث في أبواب الإيمان والعقائد .

م (٩) : وجه دخول شهادة أن محمداً رسول الله في التوحيد :

لأنها قائمة على توحيد الرسول ﷺ وإفراده بعدم إثبات رسول بعده ولا متبوع غيره إذ معناها لا أتبع ولا أطيع إلا الرسول وهذا هو حقيقة التوحيد .

أدلة دخول التوحيد في المتابعة وتعلق الشرك بها:

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ الأعراف: ٣

﴿ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ الأنعام: ١٥٣

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ محمد: ٣.

م (١٠) : المتابعة المشروعة ولمن تكون والمتابعة الممنوعة :

جاء الأمر بتوحيد المتابعة في مواضع من كتاب الله ﷻ . وأن المتابعة المشروعة تكون عما جاء عن الله ﷻ من رسوله وكتابه دينه ، وجاء النهي عن ضدها وهي المتابعة الشركية التي تكون لغير ما جاء عن الله .

م (١١) : أقسام المتابعة وآلاتها:

المتابعة العملية : وهي التي تكون عملا بالجوارح .

ومن أدلتها : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾

المتابعة القولية : وهي التي تكون قولاً باللسان . ومن أدلتها : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ النور: ٥١.

المتابعة القلبية الاعتقادية : وهي التي تشملها عقيدة القلب .

ومن أدلتها : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾.

م (١٢) : الانقياد للرسول ﷺ هو في حقيقته انقياد لله تعالى :

وذلك لأن الرسول ﷺ مبلّغ عمن أرسله وهو الله ﷻ، فأمر الرسول وشرعه وحكمه هو في الحقيقة أمر لمن أرسله وحكمه وشرع له، وإذا كان كذلك فالانقياد للرسول انقياد لمرسله وطاعة له كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ النساء: ٨٠.

قال ابن القيم في المدارج : (الرضا بنبيه ورسوله يتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه) .

م (١٣) : مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله :

١ - تصديقه فيما أخبر ٢- طاعته فيما أمر

٣- واجتناب ما نهى عنه وزجر ٤- وألا يعبد الله إلا بما شرع .

قلت ومن طاعته ﷺ الإيمان به ، ومحبته ، والقيام بحقوقه ، وأن لا يبتدع في الدين والشرع ، وأن يعتقد أنه آخر الرسل ، وأنه لا تقدم طاعة أحد على طاعته، ومعرفة سيرته وهديه ودينه ، وأن لا نغلو فيه ولا نرفعه عن منزلته ﷺ .

تنبيه : تقدم معنى شهادة أن محمداً رسول الله وحقيقتها.

م (١٤) : لوازمها وحقوقها :

١ - الحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى شريعته وتحكيم هديه وسنته في كل شيء.

٢- موالاة أحبابه المؤمنين به ، ومعاداة الكافرين به والمعرضين عن سنته .

٣- اتباعه والاقتداء به، وعدم الابتداع فلا نعبد الله إلا بما شرعه لنا رسوله .

٤- الجهاد في سبيل الله وقتال الكافرين به المنتقصين له ولهديه وقتل سابه .

٥- محبته ﷺ وتقديم محبته على محبة النفس والولد والمال .

٦- الرضا بما شرع مع التسليم والقبول والانقياد، وعدم تقديم شيء عليه.

٧- عدم الوقوع في الغلو فيه أو الشرك به .

٨- كثرة الصلاة والسلام عليه ، والبخيل من ذكر عنده ﷺ ولم يصل عليه.

م (١٥) : نواقض شهادة أن محمداً رسول الله :

١- عدم الإيمان به ﷺ ، وتكذيبه وجحود رسالته، أو الريب والشك في ذلك.

٢- عدم اعتقاد أنه خاتم الأنبياء والرسل . أو إنكار عموم بعثته للثقلين .

٣- تفضيل هدي غيره على هديه ، أو اعتقاد وجود من هو أفضل منه.

٤- من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعته وسنته أو يوجد من يسعه ذلك .

٥- التولي عن طاعته والاعراض عن متابعته وعن سنته وترك الانقياد له .

٦- الاستهزاء به ولمزه أو النيل من عرضه والطعن فيه والقدح في سنته.

٧- بغضه أو بغض أصحابه أو شيء مما جاء به .

٨- منع الناس من إتباع سنته وصد الناس عن هديه .

٩- عدم التحاكم لأمره وحكمه وشريعته. أو عدم التسليم له.

١٠- تعمد مخالفته ومعاندته والتقليد المذهبي والتقديم بين يديه .

١١- عبادته والاستغاثة به وطلب الشفاعة منه ورفعه لمقام الألوهية.

١٢- موالاة أعدائه من الكافرين به .

١٣- الابتداع في دينه وعدم الاقتداء به والبدع أعظم ما يعارض المتابعة .

١٤- تنحية الشريعة وعدم الحكم بما أنزل الله يناقض توحيد المتابعة ويعتبر كفراً بأن محمداً رسول الله بلا شك .

م (١٦) : أركان شهادة أن محمداً رسول الله :

الركن الأول : الإيمان بأن محمداً عبد الله :

ويقتضي هذا الركن ألا نغلو في الرسول ﷺ ولا نطريه ولا نرفعه عن منزلته التي جعله الله بها فلا يوصف بصفات الربوبية ولا يعطى حق العبادة، وقد وقع الكثير من هذه الأمة في نقض هذا الركن فعبدوا الرسول ﷺ من دون الله ودعوه واستغاثوا به بعد موته واستنصروه على الأعداء، ورفعه الغلاة إلى أن جعلوه ﷺ يعلم الغيب ويملك الخلق ويتصرف في الكون ويدبر الأمر وبيده وانتهكوا نهيه حين قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله) رواه البخاري. وقوله تعالى عنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الكهف: ١١٠ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ، ويمثل هؤلاء المخالفين الصوفية القبورية المشركة .

الركن الثاني : الإيمان برسالته (أن محمدا رسول الله):

ويقتضي الإيمان بهذا الركن طاعة الرسول ﷺ والاقتداء به واتباعه والانقياد لشرعه والإذعان لأمره والاستسلام لحكمه والتسليم لهديه وتصديق أخباره وتوقيره ومحبته ، وعدم التقديم بين يديه ، والدعوة لدينه وتبليغ سنته والدفاع عنه وقتل متنقصيه واعتقاد أنه أفضل الخلق وأنه خاتم الرسل وإمام المتقين وأنه معصوم.

ومما يدل لهذا الركن :﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨ ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠ .

وممن نقض هذا الركن المعجبين بالمناهج الغربية الكافرة والمتبعين لها .

م (١٧) : انقسام الناس في النبي ﷺ إلى طرفين ووسط :

فهناك من غلا فيه ووقع في الشرك فيه واتخذه إلها مع الله، فدعاه من دون الله.

ومنهم من استحب زيارة قبره كلما دخل المسجد مع أنه نهى عن اتخاذ قبره عيداً. ، وزعم أنه حي في قبره كحياته الدنيوية . وأنه أول الخلق وأنه خلق من نور.

ومنهم من جفا فيه وفي خصائصه فأنكر ختم الرسالة به، أو جوز تحكيم غيره، أو فضل الأولياء عليه، أو ابتدع عبادات فضلوها على هديه وعبادته .

م (١٨) : حقوق الرسول ﷺ خاصة والأنبياء عامة :

١ – الإيمان به: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ التغابن: ٨.

٢ – طاعته : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢ .

٣– محبته : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤ .

٤ – توقيره وتعزيره : ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الفتح: ٩.

٥ – وجوب قتال من لم يؤمن به، بدليل: (أمرت أن أقاتل الناس).

٦ – وجوب نصرته : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ الحشر: ٨

٧– إتباعه سنته والاقتداء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١.

٨– امتثال أمره: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

٩– تحكيمه في كل شيء والتسليم والرضا بحكمه بدليل آية :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾.

١٠ – معرفة سيرته وهديه.

١١ – قتل سابه ومنتقصه .

تنبيه: ستأتي مسائل تتعلق بهذا الباب كخصائصه وسيرته في الأصل الثالث.

قوله : (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد .

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥.

ودليل الصيام ، قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣.

ودليل الحج ، قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : أركان الإسلام.

وسنبين المسائل المتعلقة بها في المبحث الآتي .

مبحث : مباني الإسلام الأربع وحكم تاركها

المسألة الأولى : أركان الإسلام :

للإسلام خمسة أركان هي الواردة في حديث جبريل .وتسمى مباني الإسلام .

ويزيد عليها بعض أهل العلم ركناً سادساً وهو الجهاد والأمر بالمعروف.

وإليك أركان الإسلام :

الأول : التوحيد الشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله وأن **محمدا رسول الله**.

الثاني : إقام الصلاة . الثالث : إيتاء الزكاة .

الرابع : صوم رمضان . الخامس : الحج .

م (٢) : سر حصر بناء الإسلام على الخمس :

قيل لأن هذه الأركان الخمسة أظهر شرائع الإسلام وأعظمها وبالقيام بها يتم استسلام العبد وتركه لها يشعر بانحلال قيود انقياده لله.

قال ابن تيمية في الفتاوى: (والتحقيق أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً والذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهي هذه الخمس، وما سوى ذلك فإنها يجب بأسباب المصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما أن تكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما أن تجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له عليه كبر الوالدين وصلته الأرحام وحقوق المسلمين والزوجين والجار والفقراء ونصرة المظلوم وإذا أبرءوا منها سقطت) .

م (٣) : حكم تارك أركان الإسلام :

تارك التوحيد كافر إجماعا،وأما المباني الأربع فحصل الخلاف فيه كما سنورده .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم :

(ذهبت طائفة من السلف إلى كفر من ترك شيئا منها).

قال ابن تيمية:(وأما الفرائض الأربع: إذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر ... وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئاً من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء :

أحدها:أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج ، وإن كان في جواز تأخيره نزاع،فمتى عزم على تركه بالكلية كفر،وهذا قول طائفة من السلف كسعيد بن جبير.

الثاني : أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك وهذا المشهور عن كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي .

الثالث : لا يكفر إلا بترك الصلاة ، وهو قول كثير من السلف .

الرابع : يكفر بتركها وترك الزكاة فقط .

(كما دل عليه ظاهر القرآن في براءة، وحديث ابن عمر وغيره ولأنهما منتظمتان لحق الحق وحق الخلق كانتظام الشهادتين للربوبية والرسالة ، ولا بد لهما من غير جنسهما بخلاف الصيام والحج الفتاوى٢٠/ ٩٦).

الخامس : يكفر بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها).

الإيمان الأوسط ص:٥٥٢ ونحوه في الإيمان ص٣٠٢ و٢٠/ ٩٦ .

ويستدل من لا يرى كفر تارك الزكاة بما عند مسلم : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها ... وفي آخره ثم ينظر في سبيله إما الجنة وإما النار) .

ويحتمل أنه في المقصر فيها، أو فيمن لا يؤديها بالكلية تهاونا ويكون غير كافر .

ويستدل على كفر تارك الحج بآية: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧.

وعن علي قال: قال ﷺ : (من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، وذلك بأن الله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾) . رواه الترمذي وغيره .*

والصحيح والله أعلم : أن تارك الصلاة كافر مطلقا : للحديث الذي رواه الترمذي والنسائي وأحمد: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

وحديث : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم.

أما الزكاة والصيام والحج فيكفر من امتنع عنها لا من فرط فيها وتساهل .

أما الزكاة فقد أجمع الصحابة على تكفير الممتنع عنها . أما الحج والصيام فمن عزم على أن لا يحج ولا يصوم وامتنع عن أدائها فهو كافر كفر إباء وامتناع .

وكفر طوائف من السلف منهم سعيد بن جبير والحسن تاركها تهاوناً مطلقا.

---

* ومن الأدلة على تكفير العازم على ترك الحج : ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (من أدرك حجة الإسلام ، فلم يحج، ولم يمنعه حاجة ظاهرة ولا إمام جائر ظالم ، ولا سجنٌ حابس حتى يموت على ذلك ، فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا) رواه الدارمي وغيره عن أبي امامة وأبي هريرة.
واخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فلينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) .
وأخرج عنه: (لو أن الناس تركوا الحج لقاتلتهم عليه كما نقاتلهم على الصلاة والزكاة) .
وأخرج عن ابن عمر قال : من ترك الحج لا يصلى عليه .
وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر : من مات وهو موسر ولم يحج ، جاء يوم القيامه وبين عينيه مكتوب كافر .
وقال ابن عباس: من كفر: أي زعم أنه ليس بفرض عليه . وليس علي حج . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.
قال الحسن وغيره: من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر . تفسير القرطبي .

قوله : (المرتبة الثانية : الإيمان :

وهو بضع وسبعون شعبة . فأعلاها قول لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : حقيقة الإيمان .

وسنبينها ونشرح مراده رحمه الله بعدة مسائل في المبحث الآتي .

مبحث : الإيمان

المسألة الأولى : تعريف الإيمان :

في اللغة من الأمن والطمأنينة ، ويأتي بمعنى التصديق .

وفي الشرع : اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح .

وضد الإيمان: الكفر ويكون بالاعتقاد والقول واللسان .

م (٢) : أركان الإيمان:

الأول: قول القلب : وهو معرفته وعلمه وتصديقه.

الثاني: عمل القلب : وهو انقياده وخضوعه وذله ومحبته وإقراره وقبوله.

الثالث: قول اللسان : وهو إقراره ونطقه بالشهادتين.

الرابع:عمل الجوارح:من انقياد وطاعة واتباع وفعل الفرائض وترك النواهي.

فعمل الجوارح ركن في الإيمان وتارك جنس العمل كافر عند أهل السنة مؤمن عند المرجئة، ولا يكفِّر بترك آحاد العمل سوى التوحيد إلا الخوارج .

م (٣) : زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص يدل لذلك قوله ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الفتح :٤ وقوله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه أحمد وأبي داود والترمذي.

أما عند المرجئة فالإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل بل هو واحد متماثل، فعندهم إيمان جبريل والأنبياء كإيمان أفجر الناس وأفسقهم ، وهذا على قاعدتهم أن الإيمان ليس مركباً من شعب، وقولهم باطل بنص القرآن وبالعقل.

م (٤) : الإيمان : مركب من شعب :

يدل له حديث:(الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لاإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وذهبت الخوارج والمرجئة إلى أن الإيمان أصله واحد لا يتركب ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتفاضل فإما أن يبقى كله أو يزول كله فليس مكونا من حقيقة مركبة.

ولأجل هذا الأصل أخرجت المرجئة الأعمال من الإيمان فالرجل مؤمن ولو لم يعمل شيئاً، بينما كفرت الخوارج تارك شيء من الأعمال ، فهذه الشبهة أن الإيمان شيء واحد لا يتركب سبب ضلال الفرق في الإيمان سواءً فرق المرجئة الوعدية من الفقهاء والجهمية والأشاعرة والماتريدية أو الفرق الوعيدية وهي الخوارج والمعتزلة.

قال ابن تيمية في الإيمان الأوسط: (أصل نزاع الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، لم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه).

قال ابن تيمية في الإيمان الكبير: (قال أحمد: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار فما يقول في المعرفة هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقراً ومصدقاً بما عرف فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال لايحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً ولا أحسب أحداً يدفع المعرفة والتصديق كذلك العمل مع هذه الأشياء. قلت: أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة عرفوا أصل قول المرجئة أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون إلا شيئاً واحداً).

م (٥) : الترابط والتلازم بين الباطن والظاهر:

يوجد تلازم بين الباطن والظاهر بين أعمال الجوارح واعتقاد القلب إيمانا وكفرا ، والمرجئة ينكرون العلاقة التلازمية بين الباطن والظاهر ومن فروع قولهم:

١ – تصوروا إيمانا تاماً دون أن يوجد معه شيء من العمل الظاهر مطلقاً.

٢ – قد يوجد الكفر الظاهر البين ومع هذا يكون صاحبه مؤمناً باطناً ناجٍ عند الله ومن أهل الجنة لأنه مصدق بقلبه ولا ترابط بين عمله وإيمان قلبه.

٣ – إن أي كفر ظاهر سماه الشارع كفراً فإنما هو كفر لانتفاء التصديق .

٤ – إن من فقد الانقياد والقبول للا إله إلا الله وكان معانداً ممتنعاً عن الشريعة راداً ورافضاً لها وتاركاً للدخول والانقياد للدين، استلزم هذا عندهم أحد أمرين:

إما أن يكون مؤمناً لوجود التصديق معه في قلبه ولا يكون الانقياد شرطاً عندهم في الإيمان. وإما أن يكون كافراً باطناً وظاهراً وهذا لأنه غير مصدق .

قال ابن تيمية في الإيمان: (وقالوا حيث حكم الشارع بكفر أحد بعمل أو قول فلكونه دليل على انتفاء ما في القلب).

م (٦) : الاستثناء في الإيمان :

أهل السنة يستثنوا في الإيمان نفيا للتزكية وأيضاً لأن الإيمان فعل جميع الأوامر وترك جميع المنهيات ولا يبلغ أحد الكمال ويخشى من التقصير فيستثنى لأجل ذلك.

أما أصل الإيمان بالله وبرسوله فهذا لا يدخله الاستثناء بل هو متقين فيه.

والمرجئة يحمون الاستثناء في الإيمان .

م (٧) : مرتكب الكبيرة فاسق:

عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان لا يثبتون له الإيمان الكامل وإن كان معه أصل الإيمان فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يطلقون عليه مؤمن بإطلاق .

وعند المرجئة هو مؤمن كامل الإيمان، لا ينتفي اسم الإيمان عنه ولا يسلب .

وعند الخوارج : كافر ليس بمؤمن . وعند المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين.

م (٨) : أركان الإيمان : وتحتها فوائد :

أولاً : سر ذكر الإيمان بالرسل والكتب والملائكة :

أنها وسائط بيننا وبين الله فهي مبلغة مراد الله وأمره،وتدخل في عموم ربوبيته.

ثانياً : جميع أركان الإيمان تعتبر من أفعال ربوبيته :

الإرسال للأنبياء والملائكة . الكتابة والوحي . البعث . القدر .

ثالثاً : الإيمان بهذه الأركان على قسمين : الإيمان المجمل والمفصل .

رابعاً : كلما زاد علم العبد بها وصدق زاد إيمانه وزادت رفعته عند الله.

والدليل: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ المجادلة: ١١.

فائدة :حديث : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) : دل على مسائل مهمة :

١- أن الإيمان مركب من شعب .

٢- أنه متفاضل ومنه العالي والأدنى.

٣- أن الإيمان قول واعتقاد وعمل ومثل الحديث على الثلاثة الأنواع .

تنبيه : يتبع مبحث الإيمان مسائل الأسماء والأحكام .

مباحث أركان الإيمان

الصفات / القدر / الملائكة / الكتب / الرسل / البعث

قوله : (وأركانه ستة :

أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره .

والدليل على هذه الأركان الستة :

قولـه تعـالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ البقرة: ١٧٧.

ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : أركان الإيمان وأدلتها،وهي أبواب الاعتقاد.

وسنبينها ونشرح مسائلها اختصارا في المباحث الآتية .

وسنذكر هنا باب الصفات ، وباب الإيمان بالملائكة ، وباب الإيمان بالكتب ، وباب الإيمان في القدر . ومعتقد أهل السنة في أبواب العقيدة هذه .

تنبيه : **يبقى من أركان الإيمان** : باب الإيمان بالرسل ، وباب الإيمان بالبعث واليوم الآخر ، سنذكرها لاحقا في مواضعها من هذه الرسالة .

تنبيه : **الإيمان بالله : يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة :**

توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .وقد ذكرنا النوعين الأولين سابقاً في مواضعها وسنذكر هنا القسم الثالث توحيد الأسماء والصفات .

مبحث : الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته

م (١) : **ما يتضمنه الإيمان بالله** : يتضمن الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله . وتقدم بيان ذلك، وبقي هنا باب الأسماء والصفات .

م (٢) : **معنى الأسماء والصفات وتفسيرها والمقصود بالتوحيد فيها :**

أولاً:المقصود بأسماء الله:أسمائه الدالة على صفاته، مثل: الرحمن العزيز الخالق.

ثانياً : المقصود بالصفات : صفات الله ، مثل: الرحمة والعزة والقدرة والخلق .

ومن صفات الله أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه .

ومنها علوه بذاته واستوائه على عرشه، وأجمع السلف على كفر من أنكره.

ثالثاً : المقصود بتوحيد الأسماء والصفات : إثبات أسماء الله وصفاته فلا يعطل عن صفاته ولا نمثلها بصفات خلقه ولا نصف العباد بصفات الله .

م (٣) : عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات :

أولاً : يثبتون لله من الأسماء والأوصاف ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، ويعرفون معناها ويفوضون كيفيتها وينفون ما نفاه الله عن نفسه ورسولُه ﷺ، ويمسكون عما سكت الله تعالى عنه ورسوله ﷺ فلا يخوضون فيه بنفي ولا إثبات، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا إلحاد.

ثانياً : باب الإثبات جاء في النصوص مفصلاً أما النفي فمجملا، والمفصل من النفي المقصود منه إثبات كمال الضد فالمراد من نفي النوم مثلا إثبات كمال الحياة .

ثالثا: يجوز الإخبار عن الله بما يليق، وإن باب الإخبار أوسع من باب الأفعال والصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، فكل اسم له صفة وليست كل

صفة لها اسم كالإرادة والاستواء، وعندهم أن أسماء الله توقيفية لا تثبت بالاجتهاد والعقل، وإنما بالشرع والنص، وأسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ وليست مجرد أعلام محضة فكل اسم له صفة ومعنى يخصه .

رابعا: أسماء الله لا يعلم عددها إلا هو، فليست منحصرة في تسعةٍ وتسعين.

خامسا: أقسام الصفات إلى ذاتية وفعلية اختيارية، وإلى عقلية وخبرية .

سادسا: صفات أفعال الله قائمة بالله أزلية النوع حادثة الآحاد يفعل متى شاء .

سابعا: صفات الله قائمة بالله غير منفصلة عنه وليست مخلوقة .

ثامنا: الله ﷻ بصفاته كاملٌ غنيٌ، لا نقول أنه محتاج لصفاته أو اكتمل بها كالمخلوق، بل أفعاله صادرة عن كماله تعالى ، لا تنفك صفاته وكماله عنه ، ومن صفاته ما يتعلق بأفعاله الاختيارية المتعلقة بالمشيئة وهي التي يفعلها متى شاء كالنزول والمجيء والفرح والغضب والرضا.

هذا خلاصة ما يعتقده أهل السنة، ويخالف في ذلك فرق المعطلة على اختلاف درجاتهم من فلاسفة وباطنية وجهمية ومعتزلة، وأشعرية وماتريدية.

م (٤): علاقة أسماء الله وصفاته وأفعاله بربوبيته :

أسماء الله وصفاته وأفعاله من الربوبية فكل اسم لله وصفة تمثل ربوبية الله.

كما أن الربوبية وأفعالها من صفات الله ﷻ . فالخلق والرزق من صفات الله .

م (٥): الفرق بين أسماء الله وصفاته وأفعاله وربوبيته :

١- أسماء الله هي أعلام له مثل الإله الرب والرحمن والرزاق والقدير والملك.

٢- الصفات هي ما يوصف الله بها كالألوهية الربوبية الرحمة الرزق القدرة.

٣- أفعال الله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والنزول، فهو يخلق ويرزق ويرحم فهذه كلها أفعال لله تعالى ، وتسمى الصفات الفعلية .

٤- الربوبية تشمل أربعة أمور: وجود الله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

والقاعدة أن كل اسم لله له صفة وليست كل صفة لها اسم مثل الاستواء والكلام فليس من أسماء الله المستوي والمتكلم . وكل فعل له صفة وليس كل صفة لها فعل مثل صفة الوجه واليدين، فهي من الصفات الذاتية وليست من الفعلية.

وذهب البعض إلى وجود أفعال لا يوصف الله بها مثل الاستهزاء والمكر والتردد ونحوها وكذلك وجود صفات لا أفعال لها، وهذا الخلاف ناشئ على الخلاف اللغوي، هل أصل الاشتقاق الصفة أو الفعل .

والصحيح أن الصفات على قسمين :

١ - صفات فعلية : فكل فعل يعتبر صفة، فالاستهزاء فعل وهو صفة والخلق فعل وهو صفة، وأفعاله منها المتعدية إلى مفعول كالخلق، ومنها اللازمة كالاستواء .

٢- صفات ذاتية خبرية ليست فعلية: كصفة اليدين والعين والوجه والجمال.

ويلحق بذلك الحياة والعظمة والغنى والعزة وكذلك العلو والأولية .

م (٦) :حقيقة توحيد الأسماء والصفات والربوبية مبني على أصلين :

الأول : تنزيه الرب ﷻ عن مشابهة الخلق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه من الكمال ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

فهذان الأصلان بينهما الله ﷻ وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

مبحث : الإيمان بالملائكة

م (١) : التعريف بهم :

الملائكة جمع مَلَك وملئك ، ولفظة ملائكة مشتقة من الألوكة وهي الرسالة ، فهم رسل الله لخلقه .

م (٢) : خلقهم :

الملائكة خلق من خلق الله الصالحين ، خلقهم قبل الأنس ، لا يتناكحون ولا يتكاثرون ولا يأكلون ، لايمكن رؤيتهم على هيئتهم التي خلقوا عليها إلا للرسل، ولا يموتون إلا عند النفخ في الصور، وخلقهم الله من نور .

والدليل حديث عائشة عند مسلم : (خلقت الملائكة من نور) .

م (٣) : صفاتهم:

الله تعالى اصطفاهم وجعلهم عنده ، وجبلهم على طاعته فلا يسئمون ولا يعصونه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة: ٣٠ ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦ ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ فصلت: ٣٨.

م (٤) : أعمالهم:

لهم وظائف وكّلهم الله بها ، فمنهم الموكل بالوحي للرسل وهو جبريل، وميكائيل موكل بالقطر، وإسرافيل بالنفخ في الصور ، وحملة العرش، ورقيب وعتيد بالكتابة على البشر، والحفظة ، والسيارة ، والملائكة المتعاقبة بالليل والنهار ، وملك

الموت ، وملائكة الرحمة والعذاب ، ورضوان ، ومالك خازن النار، وزبانية النار التسعة عشر، وغيرهم كثير لا يعلمهم إلا الله .

م (٥) : يجب الإيمان بهم ومحبتهم .

ومن أنكر وجودهم، أو استهزأ بهم، أو أبغضهم كمن يبغض ملك الموت ويسبه أو الفتان أو جبريل فهو كافر والعياذ بالله والدليل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٩٨.

م (٦) الملائكة تحب المؤمنين ويستغفرون لهم ويبغضون المشركين .

وهي تجاهد مع المؤمنين ضد الكفار .

م (٧) : زعم الكفار أنهم بنات الله ﴿ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الإسراء٤٠ ، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر بالله.

م (٨) : لماذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة :

١- لأنهم عالم غيبي فوجب التصديق به .

٢- أنه يتعلق بهم أحكام كثيرة تتعلق بالبشر كإبلاغ الوحي وقبض الروح.

٣- أنهم مقربون من الله والله تولاهم وأحبهم فوجبت علينا موالاتهم .

٤- أنا لا نشعر بهم ، وهذا بخلاف الجن ، ولذلك لم يكن الإيمان بهم من أركان الإيمان ، وإن كان الذي ينكر وجودهم كافر لتكذيبه بالقرآن .

مبحث : الإيمان بالكتب

م (١) : الكتاب من الكتب وهو الشيء المجموع ومنه كتيبة الجيش والكتابة والكتب سميت بذلك لاجتماع الكلام والأخبار والأحكام .

م (٢) : المقصود بالكتب :

هي الكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه التي تبين مراده وشرعه.

م (٣) : اتفقت الكتب على الدعوة للتوحيد والأخبار واختلفت في الشرائع .

م (٤) : من الكتب التي ذكرها الله تعالى لنا :

القرآن والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

م(٥) : يجب الإيمان بالتوراة والإنجيل مع الإيمان بأنها منسوخة بالقرآن وأن التحريف قد دخلها وحفظ الله القرآن وتكفل بحفظه .

م (٦) : لا يجوز مطالعة ما بأيدي اليهود والنصارى من الكتب ويتدل لذلك ما رواه أحمد والنسائي من إنكار النبي ﷺ على عمر لمّا رأى بيده ورقة من التوراة .

م (٧) : كيفية الإيمان بالكتب وما يكون عليه:

يكون بالتصديق بها ومحبتها وتعظيمها وعدم تدنيسها .

تنبيه: التوراة والإنجيل لا يجوز أن تدنس ولا تداس، ، وهذا لا يعارض اعتقاد نسخها وحرمة النظر فيها ، وقد ثبت عند أبي داود أن النبي ﷺ لما أُتيت له التوراة رفعها على وسادة إكراما لها ، وذلك لمّا أراد النظر في حد الرجم .

مبحث القضاء والقدر

م (١) : تعريف القضاء والقدر ومعناهما شرعاً :

تقدير الله تعالى للأشياء في الأزل وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له ، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها .

م (٢) : الفرق بين القضاء والقدر :

القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .وإذا اجتمعا افترقا في أوجه دون أوجه، فيشتركان في معانٍ ويفترقان في معانٍ.

فيجتمعان في العلم والمشيئة والتقدير العام . ويختص القدر بالتقدير السابق والقضاء الخلق بعده، فالقدر تقدير والقضاء إيقاع ذلك التقدير، فالقضاء بعده .

م (٣) : علاقة القضاء والقدر بالربوبية وبالأسماء والصفات وبالألوهية :

القدر داخل في أفعال الله وصفاته وذلك أن مراتب القدر العلم والكتابة والمشيئة والخلق كلها صفات وأفعال لله فيدخل بذلك في توحيد الربوبية والصفات.

أما علاقته بالإلوهية :فلأن القدر يجب الرضا به والتسليم فيه وعدم السخط على ما قدر الله، وهذه كلها داخلة في التأله والعبادة فيشملها توحيد الإلوهية .

م (٤) : **أدلة القدر** : منها أدلة عامة على القدر ومنها الخاصة ببعض مراتبه :

يدل على القضاء والقدر الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل والحس .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢ .

حديث جبريل :(**وتؤمن بالقدر خيره وشره**)، وقوله ﷺ: (**وإن أصابك شيء** فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: **قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل**) رواهما مسلم.

م (٥) : **مراتب القدر :**

القدر يقوم على أربعة أركان ومراتب مترابطة: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق.

وهذه المراتب هي المدخل لفهم باب القضاء والقدر، ولا يتم الإيمان إلا بها.

م (٦) : **الفِرَق المخالفة في القدر :**

المخالفون في العلم طائفتان :

الطائفة الأولى: **الفلاسفة**: حيث أنكرت صفة الشمول في علم الله، فقالت الله يعلم بالكليات لا بالجزئيات فسقوط الورقة مثلاً لا يعلم بها .

الثانية: **غلاة القدرية**: أصحاب معبد وغيلان :حيث أنكرت أزلية العلم فأنكرت أن يكون العلم سابقاً فلا يعلم الله عندهم بالشيء إلا إذا وقع .

المخالفون في الخلق والمشيئة :

القدرية المعتزلة : حيث تنكر تعلق المشيئة والخلق بأفعال العباد فالله تعالى عندهم لم يخلق أفعال العباد ولم يريدها وإنما العباد هم الذين خلقوا أفعالهم.

وسموا قدرية : لأنهم ينفون القدر عن الله ويثبتونه لأنفسهم (للمخلوق).

ويسمون بمجوس هذه الأمة لكونهم يثبتون خالقاً مع الله .

الجبرية الأشاعرة: وهي التي لا تثبت للعبد قدرة ولا فعل أو تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وتسميه الكسب كما تنكر تأثير الأسباب وحقيقتها.

وسمو جبرية : لأنهم ادعوا أن الله أجبرهم وأنهم مجبورون وليست لهم إرادة .

ويسمون بالقدرية المشركة : لأنهم خالفوا في القدر ولم يوحدوا الله في الشرع والأمر، بل عارضوا الشرع بالقدر، فقالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

م (٧) : خلاصة الواجب اعتقاده في القدر :

١- يجب على العبد أن يؤمن بمراتب القدر الأربع :

فيؤمن بأن الله يعلم كل شيء وعلمه سابق شامل، وأن الله كتب كل شيء، وأنه تعالى شاءه وأراده وأنه خالق كل شيء لا موجود إلا والله قد خلقه وقدره .

٢- وأن من جملة ما خلقه الله وقدّره أفعال العباد خيرها وشرها الطاعة والمعصية ، مع كون الله أعطى العبد اختياراً وإرادةً وقدرة تابعة لمشيئة الله وخلقه.

٣- ومما يدخل في الإيمان بالقدر التقادير التي كتبها الله في اللوح المحفوظ وتقدير الميثاق والتقدير العمري والسنوي واليومي والتكليفي.

٤- الإرادة على قسمين :إرادة كونية قدرية لابد من وقوعها، وقد لا توافق المحبوب . وإرادة شرعية يحبها الله ، وقد لا تقع .

٥- الهداية قسمان: هداية الدلالة وهي عامة. وهداية التوفيق خاصة بالمؤمن . والضلال والخذلان والهداية والتوفيق لها جانب من الله وجانب من العبد بالسبب .

٦- وجوب الإيمان أن القدر من الغيب ، فلا يعلمه أحد لا ملك ولا نبي .

٧- أن الله خلق وقدر الشرور والمعاصي والمال الحرام وأنها موجودة بحكمته.

٨- أن القدر الذي هو فعل الله لاشر فيه،وإنما الشر ينسب للمقدور المخلوق.

وبهذا يحصل الجمع بين حديث: (والشر ليس إليك) عند مسلم .

وحديث جبريل عند مسلم : (وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

فالشر في المفعولات المقدورات المخلوقة وليس في أفعال الله وقدره.

٩- كل ما يفعله الله ويقدره فهو حاصل بحكمته فأفعاله معللة بحكمته.

١٠- مما يدخل في القدر الواجب تصديقه أن القدر قسمان: مثبت مطلق لا يتغير وهو ما في اللوح المحفوظ، وقدر معلق وهو ما في صحف الملائكة .

١١- أن الله تعالى منزه عن الظلم، وإن كان قادراً عليه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه .

١٢- أن القدر يشمل الأسباب والمسببات، فالله خالق للسبب والمسبب ، خالق للنار وإحراقها، وأن الأسباب لها تأثير حقيقي في مسبباتها بقدرة الله .

١٣- أنا لا نوجب على الله تعالى شيئاً بعقولنا إلا ما كتبه على نفسه فضلا منه.

١٤- وأن العقل يعرف حسن الشيء وقبحه في كثير من الأفعال ، ولكن العقاب والثواب بالشرع لا بالعقل ، فالعقل تابع للشرع وليس مستقلاً في الحكم .

١٥- وأن الاستطاعة على قسمين : شرعية قبل الفعل ومعه بمعنى الصحة والسلامة، واستطاعة قدرية وتكون مع الفعل وهي بمعنى التوفيق والإعانة .

١٦- أن الله لا يكلف عباده إلا ما يطيقون.

١٧- وأنه ليس كل ما أراده الله فقد أحبه ، مثل إرادة الله وجود الكفر.

١٨- وأنه ليس كل ما أمر الله به فقد أراده ، مثل أمر الله إبراهيم بذبح ابنه .

١٩- وأنه يجب على العبد أن يرضى بالقدر ويصبر على ما قدره الله من مصائب، ولا يرضى بالمعاصي وإن كانت من قدر الله .

٢٠- وأن القدر يحتج به في المصائب لا في الذنوب والمعائب .

٢١- وأن لا نعارض القدر بالعقل ، فهو من الغيب والسر الذي يحير العقول، مما يوجب الإيمان والتسليم لا الاعتراض والخوض بالباطل فيه .

قوله : (المرتبة الثالثة : الإحسان :

ركن واحد .

وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ النحل ١٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يونس: ٦١ **)**.

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : حقيقة الإحسان .

وسنبينه ونشرح مراده رحمه الله بعدة مسائل في المبحث الآتي .

مبحث : الإحسان

م (١) : **تعريفه**: الإحسان من الفعل حسن وهو الجميل البديع.

م (٢) : **أركانه** : للإحسان ركن واحد .وليس ركنين .

م (٣) : مراتبه : للإحسان مرتبتان :

الأولى : أن تعبد الله كأنك تراه . **الثانية** : فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وقد وهم البعض حين جعل مرتبتيه ركنين ولا يصح .

قال ابن رجب في الفتح للإحسان مقامان :

١- مقام المراقبة ويستحضر قرب الله .

٢- مقام المشاهدة كأنه يرى الله وهذا نهاية مقام الإحسان .

م (٤) : **أدلة الإحسان** : حديث جبريل الذي فسر الإحسان .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ النحل ١٢٨.

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الشعراء: ٢١٧ - ٢١٨ .

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يونس: ٦١.

م (٥) : **محله** : يكون الإحسان بالقلب واللسان والجوارح .

قال ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شي فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) مسلم.

ويتعلق الإحسان بأعمال الجوارح ويدخل في ذلك الإحسان في البيوع واجتناب البيوع المحرمة . ومنه بذل منافع البدن .

م (٦):**حقيقته**:قال الفضيل:الإحسان:الإخلاص ومراقبة الله في السر والعلن.

قال ابن رجب: الإحسان نفوذ البصائر في الملكوت حتى يصير الخبر كالعيان .

م (٧) : تعلق الإحسان ، ولمن يكون :

١- الإحسان يكون مع الرب في عبادته .

٢- يكون الإحسان مع المخلوق في معاملته .

م (٨) : علاقته بالإخلاص والمراقبة:

قال ابن تيمية في شرح حديث جبريل : الإحسان يتناول الإخلاص وغيره .

الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن المحبوب لله.

م (٩) : الإحسان أعلى مراتب الدين وأكمل مقامات العبودية ، فيدخل فيه التقوى والإخلاص واليقين والرضا والمحبة والخشوع والخشية والصبروغيرها.

وأهله أقل الناس عددا، وقد سماهم الله بأسماء منها: بالمقربين والسابقين والمخبتين .

م (١٠) : صفات الله تعالى التي تربي العبد على الإحسان وحسن العمل :

١- صفة المعية ، فينبغي للمؤمن المحسن استشعارها على الدوام .

٢- صفة الشهادة والرقابة، ومن أسماء الله:المؤمن الرقيب الشهيد .

٣- صفة العلم والسمع وكثيرا ما يقرن الله بينهما كما في آية الباب .

م (١١) : علة تخصيص الإحسان بالذكر دون بقية مقامات الدين:

خصص الرسول ﷺ الإحسان بالذكر دون بقية مقامات الدين، كالتقوى الإخلاص اليقين الرضا المحبة الخشوع الخشية الصبر وغيرها ، فالإسلام والإيمان لا إشكال في ذكرهما ، لكننا المشكل تخصيص الإحسان ، فتخصيصه يدللنا على دخول جميع العبادات القلبية والمقامات العالية التي تفرد بها الكمّل من المؤمنين السابقين.

هذا ما ظهر لي في الحكمة من هذه التخصيص والله تعالى أعلم بالحقيقة.

قوله (والدليل من السنة حديث جبريل المشهور .

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لايرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه،

وقال : يا محمد . أخبرني عن الإسلام.

فقال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " .

قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال : أخبرني عن الإيمان .

قال : " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره" .

قال : أخبرني عن الإحسان .

قال : " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

قال : أخبرني عن الساعة .

قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " .

قال : أخبرني عن أماراتها .

قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعاء الشاة يتطاولون في البنيان " .

قال: فمضى . فلبثنا ملياً .

فقال : " يا عمر: أتدري من السائل؟ ". قلنا : الله ورسوله أعلم.

قال : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " أخرجه مسلم) .

فوائد من حديث جبريل عليه السلام

م (١) : هذا الحديث يعتبر شاملاً لأمور الدين وموضحاً له ، ولهذا قال النبي ﷺ : (يعلمكم أمور دينكم) . وكان المعلمان الرسول البشري والرسول الملكي وقد اجتمعا ليعلموا الأمة دينهم ، وكان في آخر الأمر بعد أن استقرت الشرائع واكتمل الدين ، ومن أهميته فقد سماه بعض العلماء بأم الأحاديث، وعليه فهذا الحديث يجب أن يحفظه كل مسلم ويفهمه ويعلمه غيره.

م (٢) : فسر الرسول ﷺ الدين بما يقوم عليه وهذه أغلب التعريفات الشرعية، وهي على طريقة الاستقراء والأمثلة ، ولم توجد طريقة التعريفات إلا عند المتأخرين لما ظهر أهل البدع وكثر الأعاجم الذين يجهلون حقائق اللغة فاضطروا إلى ضبط المصطلحات الشرعية فالإيمان قول وعمل ، والإسلام استسلام وانقياد ، والتوحيد إفراد الله بالعبادة وما يختص به والشرك عبادة غير الله ، وكذا بقية الألفاظ الشرعية.

فائدة : جعل النبي ﷺ الإسلام مبنياً من أركان وأعمدة، فهو كالبناء القائم على أركان وأعمدة يسقط بسقوطها .

م (٣) : حوى هذا الحديث جملة من الفوائد ، منها :

أن الخشونه والبذاذة هي الأصل في الرجال ، ولهذا استنكر الصحابة شدة بياض الثياب فلم تكن مألوفة ، وكان عمر رضي الله عنه يقول (اخشوشنوا) .

أما عند المتأخرين فكما أخرج ابن وضاح عن جماعة من الصحابة والسلف قالوا : (الرجل الممتلئ شحماً براق الثياب هي المرؤة فيكم) .

أن جبريل قدم على صورة وافر اللحية ، ولم يكن حلق اللحى معروفا عندهم.

أن مجتمع الصحابة كان ذا تواصل وتعارف ، ولهذا قالوا عن جبريل لم يعرفه منا أحد مع أنه لا تظهر عليه آثار السفر.

جاء في رواية عند ابن حبان أن النبي ﷺ لم يعرف جبريل إلا بعد أن ولّى .

جاء جبريل بآداب التعلم في السؤال والجلوس ، وهذا الذي ينبغي فعله مع أهل العلم .

وضع جبريل يده على فخذ الرسول ﷺ كما صرحت به بعض الروايات ، فلا يلتفت لمن قال بعدها أنه وضع يديه على فخذي نفسه .

ينبغي للمسئول وأهل العلم حفظ (لا أدري،والله أعلم)، ولا يتقحموا جهنم بفتوى لا دليل عليها، وليقتدوا بنبيهم ﷺ في قوله: (ما المسئول أعلم بها من السائل).

ومن رأى منهج السلف كمسائل الإمام أحمد يجد في إجاباته بقوله (ما أدري) كثرة. ومثله الإمام مالك وغيرهم من الأئمة.

ولهذا قال أسلافنا : من جهل لا أعلم فقد كثرت مقاتله .

مسألة : دليل وجود درجات في تدين الناس وأن مراتبهم متفاوتة في الفضيلة:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢.

الأصل الثالث : معرفة الرسول ﷺ

قوله : (الأصل الثالث : معرفة نبيكم محمد ﷺ

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وله من العمر ثلاث وستون سنة.

منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً.

نُبِّئ بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾ العلق: ١. **وأرسل بـ** ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾.

وبلده مكة ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد .

والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ المدثر: ١ - ٧.

ومعنى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: **ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد .**

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾: **عظمه بالتوحيد،** ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ **: أي طهر أعمالك عن الشرك،** ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ **: الأصنام،وهجرها : تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها.**

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد .

وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : الأمور المتعلقة بمعرفة الرسول ﷺ .

وسنبين هذه المسائل في المبحث الآتي .

المسألة الأولى : معرفة الرسول ﷺ تشمل أربعة مباحث:

١- الإيمان بأن محمدا رسول الله (شهادة الرسول) وتقدم توضيح مسائلها.

٢- مسائل توحيد المتابعة . وتقدم مع السابق وذكرناه في أركان الإسلام.

٣- باب النبوات وتبحث في أركان الإيمان، وسيأتي بحث مسائلها لاحقا.

٤- مسائل السيرة والتعريف بالنبي ﷺ . وهو ما سنذكره هنا مختصرة .

مسألة : انقسام الناس في النبي ﷺ إلى طرفين ووسط : وتقدم .

مسألة : حقوق الرسول ﷺ: تقدمت .

م (٢): دخول الأصل الثالث (معرفة النبي) في أركان الإسلام وأركان الإيمان:

توحيد المتابعة وشهادة أن محمدا رسول الله ربط بالإسلام والأعمال الظاهرة.

ومبحث النبوات متعلق ومربوط بأبواب الإيمان والتصديق والأعمال الباطنة.

م (٣) : ما تشمله السيرة النبوية :

معرفة نسبه وأهل بيته وصفاته وحياته وجهاده وسفره وأخلاقه وهديه مع الناس ودعوته وشمائله وخصائصه وسنته .

م (٤) : نسب النبي ﷺ:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وما بعد عدنان تخرص، وهي مدة طويلة ذكر في الإسرائيليات أن من زمن إبراهيم إلى محمد عليهم السلام ثلاثة آلاف سنة .

م (٥) : بعض معاني الأسماء في نسبه :

جده عبد المطلب اسمه شيبة ، والتعبيد هنا مقصود به الرق وليس العبودية .

وسمي بعبد المطلب لأنه نشأ عند أخواله ، فذهب أخوه المطلب وأتى به مكة فلما رأوه وكان فيه سمرة ظنوا أنه عبد رقيق للمطلب فذهب لقبا له .

والرسول ﷺ أخبر باسمه وليس فيه إقرار لهذا الاسم أو التعبيد لغير الله .

وقريش اسمه فهر وهو الصحيح وقيل أنه النضر بن كنانة.

وسمي بقريش لأنه كان تاجرا يجمع المال والقروش .

وفي لغة العرب التجارة تسمى تقرشا والمال قروشا والتاجر قُرَشيًّا.

وإسماعيل معناه: استجاب الله .وإبراهيم : أصله أب رحيم والحاء في لغة الأعاجم تنطق هاءً.وسمي بالخليل:لأن الله اتخذه خليلا والخلة أعلى درجات المحبة.

والعرب من ذرية إسماعيل *، وسموا عربا من إعراب الكلام وإفصاحه .

---

* القبائل العربية : قسمان :
العرب البائدة : وهم عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وجرهم ولا يعرف عنهم اليوم أي شيء.
العرب الباقية : وهم من عدنان وقحطان : ومن القبائل التي تعود فيهم :
العدنانيون: مضر: كنانة وقريش وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن وثقيف. وربيعة: بني حنيفة وعنزة.
القحطانيون: الأزد والأنصار منهم وخثعم وهمدان ومذحج وخولان وكندة وحِميَر وقضاعة.
وجميعهم يرجع في إسماعيل بن إبراهيم ومن أرجع القحطانيين إلى غير إسماعيل إلى هود أو غيره فقد اخطأ .

ومما يدل على رجوع القحطانيين في إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم السلام:
١- قوله ﷺ لبعض قبائل الأزد وهم من قحطان: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا). رواه البخاري.
وقد بوب البخاري رحمه الله لذالك بقوله باب نسبة اليمن إلى إسماعيل.
٢- قول أبي هريرة ﷺ عن هاجر وهو يخاطب الأزد: (تلك أمكم يابني ماء السماء) رواه البخاري .
٣- قوله تعالى:﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، وكذلك قوله ﷺ وهو يخاطب العرب في مواضع عدة .
٤- ما روي عنه ﷺ : (العرب بنو إسماعيل إلا أربعة قبائل : السلف والأوزاع وحضرموت وثقيف) . أورده ابن اسحاق الفاكهي في أخبار مكة.
٥- العرب الأولى انقرضت ولم يعد يعرف عنها أي شيء، وقد أخبر ﷺ عن ثمود أنه لم يبق منهم أحد .
قال عروة بن الزبير: ما وجدنا من يعرف ماوراء عدنان وقحطان إلا تخرصا ، نقله عنه الذهبي في السير .
٦- أن القول: العرب قسمان عرب عاربة أصليون وهم القحطانيون وعرب مستعربة وهم العدنانيون الذين منهم محمد ﷺ فيه لمز له ﷺ وقدح في عروبته وذلك بإثبات من هو أعرب منه، وما نشأ هذا القول إلا من الزنادقة .

م (٦) : اسمه :

محمد وهو مشتق من كثرة الحمد ، وقيل أنه أول من سمي بذلك .

قال أبو طالب : وشق له من اسمه ليعزه فذاك رب العرش محمود وهذا محمد

وأسمائه: أحمد، الماحي، الحاشر، العاقب. رواه جبير بن مطعم في الصحيحين.

م (٧) : آل بيته :

أهل بيته هم: بناته وزوجاته وأبناء علي ، وآل العباس ، وآل عقيل وآل جعفر.

وأخطأ من قصرهم على ذرية الحسن والحسين .

أسلم من أعمامه : حمزة والعباس .

أبناؤه: القاسم عبد الله إبراهيم، زينب وتزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها. فاطمة تزوجها علي بن أبي طالب، رقية أم كلثوم تزوجهما عثمان .

وجميع أبنائه من خديجة ماعدا إبراهيم من مارية.

وجميع أبنائه توفوا قبله ما عدا **فاطمة عاشت** بعده ستة أشهر .

نساؤه : خديجة سودة عائشة حفصة زينب بنت خزيمة أم سلمة زينب بنت جحش جويرية أم حبيبة صفية ميمونة توفيت خديجة وزينب بنت خزيمة.

م (٨) : حياته : تنقسم حياة نبينا ﷺ إلى ثلاث مراحل :

الأولى : من ولادته إلى بعثته وهي أربعين سنه .

الثانية: من بعثته إلى هجرته. وتسمى بالعهد المكي وهي ثلاث عشرة سنة .

الثالثة : من هجرته للمدينة إلى وفاته ،وهي عشر سنين ، وتسمى العهد المدني.

نشأ ﷺ في بني سعد جنوب الطائف من أرض هوازن حيث أرضعته حليمة.

مات أبوه وهو في بطن أمه، فكفله جده عبد المطلب ، ثـم مـات وماتـت أمـه آمنة، فكفله عمه أبو طالب.

وكان يتحنث في حراء ولم يشرك قط بل كان على الحنيفية وبقايا دين إبراهيم.

رعى الغنم لقريش وسافر للشام مع عمه ، وتاجر بمال خديجة .

لما صدع بالتوحيد والكفر بالطاغوت كما أُمر حورب وأوذي هو وأصحابه .

أذن بالهجرة للحبشة في السنة الخامسة .

حوصر آل هاشم في الشعب في السابعة من البعثة واستمرت ثلاث سنين.

هاجر للمدينة في السنة الثالثة عشرة من البعثة .

توفي يوم الاثنين ثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر بعد الهجرة.

وعمره ثلاث وستون سنة .

استقبل الوفود والقبائل العربية مسلمة في التاسعة من الهجرة .

وحج في السنة العاشرة .

م (٩) : جهاده ومغازيه :

غزا بنفسه سبع وعشرون غزوة ، وفي حديث ابن الأرقم سبع عشرة ، قاتل في تسع منها . أما السرايا التي بعثها النبي ﷺ سبع وخمسين سرية .

أعظمها معركة بدر في السنة الثانية ، وفتح مكة في الثامنة في رمضان.

م (١٠) : دعوته :

نبأ وهو في غار حراء وانزلت عليه سورة إقرأ . وأرسل بعدها وأنزلـت عليـه سورة المدثر وأمر فيها بالتوحيد وهجر الشرك وأهله والكفر بالطاغوت والرجز .

بدء الدعوة بالسرية ثلاث سنين ، ثم جهر بالدعوة .

أولا نزلت عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤.

ثم نزل الأمر بالدعوة العامة ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر: ٩٤.

وكان على خلق عظيم رباه الله فأحسن تربيته ولم يكله لأحد .

وسيأتي الكلام عن هجرته وعموم رسالته وكمال هديه وموته.

فائدة : متى نبأ وصار نبيا ﷺ :نبأ محمد ﷺ وعمره أربعون، جاءه جبريل في غار حراء، وقال له إقرأ ، فنبأ بإقرأ ، أما حديث متى كنت نبيا (في رواية جعلت وكتبت)، فقال ﷺ : (وآدم بين الروح والجسد) . رواه أحمد. فلعل معناه: أن الله ﷻ كتب وقدر أنه نبي منذ أن خلق آدم فنبوته مقدرة وهو في ظهر أبيه آدم والله أعلم.

م (١١) : خصائص الرسول ﷺ:

١ - أنه أفضل الخلق وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء .

٢ - أن الله بعثه بالحنيفية السمحة ونسخ الله بشرعه كل الشرائع .

٣- أن الله أنزل إليه أفضل الكتب وتعهد بحفظه .

٤ - أنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده .

٥ - أن الله رفع ذكره فقرن اسمه باسمه وجعل الثواب الجزيل لمن صلى عليه .

٦- أنه صاحب الشفاعة يوم القيامة وله المقام المحمود والوسيلة .

٧- أن الجنة لا تفتح إلا بعد شفاعته .

٨- أبيحت له الغنائم ونصر بالرعب وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً .

٩- أنه بعث للأنس والجن والعرب والعجم ، وأخطأ من زعم أنه مرسل إلى الملائكة لكونهم جبلوا على الطاعة ورسلهم منهم .

١٠- أن له الحوض والكوثر .

١١- أن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا يصح أنه رأى الله .

١٢- أن الميثاق أخذ على الأنبياء بالإيمان به ونصرته وإتباعه إن أدركوه .

١٣- أن الله بتر شانئوه فجعل شانئه ومعاديه أبتر مقطوع .وكفاه المستهزئين .

١٤- أن أمته أفضل الأمم وأكثر أهل الجنة .

١٥- أنه العاقب والحاشر والماحي وأحمد ومحمد .

١٦- أن يبلّغ السلام من أمته بعد موته.

١٧- أن الأرض لا تأكل جسده .

١٨- أنه شاهد على أمته يوم القيامة .

١٩- أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً .

٢٠- أن الكاذب عليه متوعد بالنار .

٢١- علو أخلاقه ورحمته بأمته .

٢٢- معراجه إلى السماء في حياته ولم تكن لأحد من الرسل غيره .

كما أن له الكثير من المعجزات كإنشقاق القمر له ونبع الماء من بين أصابعه .

وله كثير من الخصائص التي يعسر حصرها وهي على أقسام :

منها التي تخصه عن الأنبياء . ومنها ما يخصه عن أمته كالجمع بين تسع زوجات وطيب عرقه والتبرك بآثاره وإسلام قرينه وأنه لا ينام قلبه ويرى من خلفه .

م (١٢) : **الإسراء والمعراج** : نذكر فوائد منها :

١- تعريفه: الإسراء: هو المسير ليلا والمقصود به ذهاب النبي ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين . والمعراج : هو صعود الرسول ﷺ من الأرض إلى السماء.

٢- كان الإسراء والمعراج في نفس الليلة،وأسري به ﷺ راكبا على دابة البراق .

٣- كان بجسده وروحه ولم يكن بروحه فقط ولم يكن مناميا كما ظن البعض .

٤- ذكر الرسول للكفار الإسراء ولم يذكر المعراج لأن عقولهم لا تستوعب . وأرادوا أن يثنوا الصديق بهذا الحدث فزاد إيمانه وسمي الصديق. وقد ذكر ﷺ لقريش بعض ما يصدق ذهابه ومن ذلك وصف المسجد الأقصى .

٥- تسمية المسجد الأقصى بذلك فيه دلالة على أنه سيوجد مسجد دونه وهو المسجد النبوي الذي بني فيما بعد .

٦- ذكر الإسراء بسورة الإسراء والمعراج في النجم ولم يذكرا في مكان واحد.

٧- قيل أن في ذهاب النبي ﷺ للشام أرض المحشر ليسهل الحشر على أمته.

٨- صلى ﷺ بالأنبياء في المسجد الأقصى ليظهر فضلة ، والكيفية لا نعلمها .

٩- لقي النبيﷺ من الأنبياء في السماء الدنيا آدم ثم عيسى ويحي ثم يوسف ثم إدريس ثم هارون ثم موسى ثم إبراهيم .

١٠- رأى في معراجه آيات كبرى حيث كلمه الله حقيقة ولم يره، وسمع صريف الأقلام ورأى السموات والأنبياء وسدرة المنتهى والجنة والنار وجبريل .

١١- وقته بعد عام الحزن وموت عمه وزوجه وأذية قومه تسلية للرسول ﷺ .

١٢- رواية شريك عند البخاري في الإسراء فيها أوهام كثيرة لم يتابع عليها.

قوله : (والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الإسلام.

وهي باقيه إلى أن تقوم الساعة .

والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ النساء: ٩٧ - ٩٩.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

قال البغوي رحمه الله :"سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان".

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ:" لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ".).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف موضوع الهجرة والإقامة عند الكفار وسنبينها بعدة مسائل.

مبحث : الهجرة والإقامة ببلاد الكفار وإظهار الدين

م (١) : تعريفها :

لغة الترك . وهي الخروج من البلد الذي هو فيه .

الهجرة شرعا : الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

م (٢) :ضابط بلاد الإسلام والكفر .

قيل بلاد الكفر من يحكمها كافر أصلي أو مرتد . والإسلام من يحكمها مسلم.

وقيل من كان أهلها على الإسلام فديار إسلام وإلا فديار كفر.

وقيل إذا كانت محكومة بشريعة الإسلام فديار إسلام وإذا حكمت بغير ما أنزل الله فكفر حتى ولو حكمت بقانون واحد يخالف شريعة الإسلام فديار كفر .

والصحيح أن دار الإسلام هي ما ظهر فيها شعائر الإسلام ، وإلا فدار كفر .

م (٣) : أقسامها :

١ - هجرة أوطان : بالانتقال من بلد إلى بلد .

٢ - هجرة أبدان : بترك العصيان والكفران، كما أمر النبي ﷺ بذلك أصحابه.

م (٤) : أنواعها :

١ - هجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

٢ - هجرة من بلد الخوف على الدين إلى بلد الأمن كما هي الهجرة للحبشة . وكالهجرة لبلاد الكفر إذا كان حكمها وقانونها يسمح بإظهار الدين الإسلامي .

٣ - هجرة من بلاد الفسق والمعاصي إلى بلد الطاعة والصلاح .

م (٥) : أدلتها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧ .

قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

قال ﷺ : (أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) رواه أبو داود .

قال ﷺ : (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) رواه أبو داود.

قال ﷺ : (لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين) رواه أحمد.

قال ﷺ : (لا تساكن المشركين ولا تجامعوهم في مساكنهم ومن جامعهم فليس منا) أخرجه الحاكم.

م (٦) :متى شرعت : شرعت الهجرة للحبشة في السنة الخامسة للبعثة وبعد ثلاث عشرة سنة من البعثة شرعت الهجرة للمدينة.

م (٧) : أحكام الهجرة :

١- من تجب عليه الهجرة : وهو القادر عليها مع عدم القدرة على إظهار دينه.

٢- تستحب : إذا كان قادرا على إظهار دينه . وتسقط عن العاجز .

م (٨) : شروط جواز الإقامة ببلاد الكفار والسفر لديارهم:

١- أن يتمكن من إظهار دينه .

٢- أن يمتلك ديناً وعلماً يمنعانه من الشهوات والشبهات .

٣- أن يكون سفره وإقامته لحاجة .

م (٩) : أحوال الإقامة عند الكفار :

الأول : الإقامة عندهم عن رغبة واختيار ا لصحبتهم فيرضى ماهم عليه من الدين أو يمدحهم أو يرضيهم بعيب المسلمين أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه فهذا كافر .

الثاني : أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا لا نكفره لأجل مجرد الجلوس ولكن نقول أنه عاصي .

الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم وهو نوعان :

أن يكون يظهر دينه فيتبرأ منهم وأنهم ليسوا على حق بل على الباطل وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة . أو أن يقيم عندهم مستضعفا .

الدفاع عن أهل السنة لحمد بن عتيق ص١٠ .

مسألة : السفر لبلاد الكفار كحكم الإقامة فيجوز لمن يظهر دينه وأمن الفتنة .

م (١٠) : كفر من أقام ببلاد الكفر رغبة واختيارا لصحبتهم فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه أو يرضيهم بعيب المسلمين.

يقول ابن رشد: "فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر، ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين، ويقيم بين أظهرهم لئلا تجري عليه أحكامهم". مقدمات ابن رشد ٢/ ٦١٢.

قال ابن كثير في تفسيره:(فتهاجِرُوا فِيهَا) الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه.

وقال ابن حزم : (فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين، فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها) المحلى ١٣/ ١٣٨.

وقال عبد اللطيف:(الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك ، لا تصدر عن قلب باشره الإسلام،وفي حديث جرير إلحاق مفارقة المشركين بأركان الإسلام).

م (١١) : الهجرة باقية إلى قيام الساعة :

قال ﷺ : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أبو داود والنسائي وأحمد .

أما الحديث المتفق عليه : (لا هجرة بعد الفتح) فهو خاص في الهجرة من مكة إلى المدينة فهذه انتهت بعد فتح مكة.

م (١٢) : حقيقة إظهار الدين الواجب :

اعلم أن إظهار الدين أمر واجب على كل مسلم وهو يطلق على أمرين :

الأول : إظهار أن الشخص مسلما أو القيام بالعبادات والصلوات وهذا لا يكفي بمجرده كما توهم البعض*.

الثاني : إظهار لوازم الإسلام، من الولاء والبراء ومعاداة الكفار وتكفير المشركين والكفر بالطاغوت وهي المقصودة هنا .

يقول الشيخ حمد بن عتيق في سبيل النجاة والفكاك: (إن كثيراً من النـاس قـد يظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يرد عن المسجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشـركين أو في أمـاكن المرتـدين، وقـد غلطوا في ذلك أقبح الغلط . واعلم أن الكفر له أنواع وأقسام بتعدد المكفرات وكـل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكـون المسـلم مظهـراً لدينـه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ويصرح لها بعداوته، والبراءة منه).

ويقول: (إظهار الدين: تكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم والبراءة منهم ، وليس فعل الصلوات فقط إظهاراً للدين). من جزء الجهاد ص١٩٦.

قال إسحاق بن عبد الرحمن:(زعم أن إظهار الدين هو عدم منعهم من يتعبـد ويدرس دعوى باطلة. لأن الصلاة والتدريس موجود في بلدانهم).الدرر الجهاد١٤١

وقـال : (ولـو سـلمنا أن إظهـار الـدين هـو أداء الواجبـات ، فـإن أوجـب الواجبات التوحيد وما تضمنه من مباينة المعتقـد ... لأنـه لا يمنـع أحـد مـن فعـل العبادات الخاصة في أكثر البلاد ...) الدرر ١٢/ ٤١٢ .

ويقول محمد بن عبد اللطيف: (يظن الجهلة من أنه إذا تركه الكفار وخلوا بينه وبين أن يصلي أنه يصير مظهراً لدينه هذا غلط فاحش) . الدرر ٨/ ٢٠٧.

قال الأول: يظنون أن الدين لبيك في الفلا * وفعل صلاة والسكوت عن الملا

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان :

إظهار هذا الدين تصريح لهـم بالكفر إذْ هم معشر كفـــار
وعداوة تبدو وبغض ظاهـــر يا للعقول أما لكم أفكـــار

الدعوة والسيرة النبوية :

قوله : (فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام .

أخذ على هذا عشر سنين .

وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه .

ودينه باقٍ ، وهذا دينه .

لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه .

والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه.

والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه .

بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والانس ، والدليل قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨.

وكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣.

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ الزمر ٣٠ – ٣١).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف : أربعة مسائل: وسنبينها هنا اختصارا وهي :

حقيقة دعوته وبقاء دينه ، عموم رسالته ، كمال هديه ودين الإسلام ، موته .

المسألة الأولى : حقيقة الدعوة النبوية :

أولاً : مدة الدعوة للتوحيد وبقية الشرائع :

أن الرسول ﷺ كان في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو للتوحيد ، وبعدها عشر سنين في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، الزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف ، وبين أحكام البيوع والحدود والمواريث وأبواب النكاح، وغير ذلك من شرائع الإسلام .

وهذا يدلل على أهمية الدعوة للتوحيد ، ولذلك من الجهل العميم أن يقال الناس فهموا التوحيد ، والشرك واضح ألا ترى أن الخليل الذي هدم الأصنام يسأل ربه أن يجنبه عبادة الأصنام التي أظلت الكثير، وما أكثر الأوثان المضللة في زماننا وتنوعها ،﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ إبراهيم: ٣٥-٣٦.

ولو تأملت من طلب وجهل بعض صور الشرك من الصحابة كالذين طلبوا الأنواط وعدي في استنكاره لشرك الطاعة تجد أغلبهم حديث عهد بكفر بخلاف من تربى على التوحيد ، وبهذا فنقول للدعاة والمربين والخطباء اعتنوا ببيان التوحيد وسيصاح الله بذلك الناس واحذروا المناهج الوافدة على أهل التوحيد من دعاة التربية والسياسة وغيرهم ولتأخذوا منهج الرسل في الدعوة منهجا لكم.

ثانياً: أعظم الخير والشر اللذان بينهما ﷺ :

الخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه.

والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه .

وقد تقدم ذلك .

ثالثاً: لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه :

قال ابن مسعود ﷺ وغيره أن الرسول ﷺ لم يترك لهم شيء إلا وأخبرهم خبره وعلمهم كل شيء حتى آداب الخلاء ولذلك حسدتنا علي اليهود لعنهم الله.

هذا وقد تفانى الرسول ﷺ في الدعوة وإيصال الخير للناس وقد أخبر الله عنه بذلك فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨.

بل كاد يهلك نفسه حسرة على الناس وحزنا على أمته فقال الله عنه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ فاطر: ٨﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٢٧.

ولما خرج في آخر يوم من حياته ورأى صفوف المسلمين في صلاة الفجر، استبشر وابتسم بأمي هو وأمي ، وتيقن بأن دين الله الذي بلغه باق بعده ينافح عنه أتباعه من الرجال الذين لا يلهيهم شيء عن دين الله .

فنشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد حتى أتاه اليقين .

رابعاً : بقاء الدين الإسلامي وما دعاء إليه نبيناﷺ إلى قيام الساعة :

وقد جاءت الأخبار بذلك ، وقد تكفل الله بحفظ الدين وبقائه،﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، وأخبر ﷺ أن من أمته من سيبقى على الجهاد والبيان إلى قيام الساعة ويقاتل آخرهم الدجال وأنهم هم الطائفة المنصورة ، ونراهم اليوم وراياتهم مرفوعة ، نسأل الله أن يمكن لهم ويجعلنا منهم.

المسألة الثانية :عموم رسالة محمد ﷺ للجن والإنس* :

بعث الله محمدا ﷺ إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الجن والإنس .

الدليل: قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف١٥٨.

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١.

وقوله ﷺ : (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون). رواه البخاري .

وحديث:(وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)متفق عليه.

وقوله ﷺ: (لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والنسائي.

فإذا كان موسى عليه السلام لا يسعه إلا اتباع الرسول ﷺ فكيف بغيره ؟

أن عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء آخر الزمان لا يعمل إلا بشريعة محمد ﷺ ويكون متبعاً له ولشريعته لا يخرج عنها ويعمل بما أخبر به الرسول ﷺ من وضع الجزية فلا يقبلها وهذا من أمر الرسول فالعمل بالجزية يكون في هذه الأمة حتى ينزل عيسى فينسخ ويزول ولا يعمل به لأن أهل الذمة اليهود والنصارى بعد نزول عيسى لا يصير لهم بقية حجة فيلزمهم الإيمان بمحمد ﷺ بأمر عيسى وإما أن يعرضوا ويأبوا فيكفروا ويقتلوا كبقية الكفار ولا تقبل منهم جزية.

فوضع الجزية من شريعة محمد ﷺ بالنقل والعقل وليس خروجاً عن شريعته .

*** هنا مسألة : هل الكفار بعد بعثة النبي ﷺ يعتبرون من أمة محمد :**

أنكر الإمام أحمد القول بأن اليهود والنصارى من أمة محمد وأستأنس بما روي عنه ﷺ : (من صدق بي وآمن بي فهو من أمتي ومن لم يصدق بي ويؤمن بي فليس مني وهو في النار) نقله عنه الخلال في أحكام أهل الملل ص٧ .

ولكن الصحيح في ذلك أن أمة محمد على قسمين : أمة إجابة وهي خاصة بمن آمن بالرسول ﷺ واتبعه .

وأمة دعوة وهذه يدخل فيها كل من أدرك دعوة الرسول ﷺ المؤمن به والكافر .

ومما يستدل به على أن الكفار يدخلون في هذه الأمة قول النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار) . رواه مسلم، فأخبر أنهم من هذه الأمة.

المسألة الثالثة : كمال هديه ﷺ وشريعته :

إن كمال شريعة الرسول ﷺ وحسن هديه وأفضليته وخيريته وحسن سيرته وفضل طريقته مما لا يشك فيه عاقل بل هو مما أجمع عليه البشر قاطبة . وإذا كانت الرسل أتوا بأكمل الطرق والشرائع فأفضل المناهج ما أتت به الأنبياء لكونها من عند اللطيف الخبير سبحانه، لذا وجب اتباعهم والعمل بشرائعهم والرضا بهم، وإذا كان هذا فيهم فكيف بشريعة أفضل الخلق وخاتم الرسل الذي أخبر وهو الصادق أن خير الهدي هديه وأكمل الشرائع شريعته وأن هديه نعمة كاملة لا يستغنى عنها.

والأدلة الدالة على هذا الأصل أكثر من أن تحصى منها :

قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، فجعل الشرع والدين وإرسال الرسول وتبليغنا هديه نعمة تامة كاملة.

وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ آل عمران ١١٠ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء١٢٥ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣.

ما جاء في خطبته ﷺ يقول : (وأن خير الهدي هدي محمد ﷺ)رواه مسلم.

وقول الرسول ﷺ لعمر ﷺ عندما رآه حاملاً ورقة من التوراة: (لو كان موسى ابن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والنسائي .

وعيسى ﷺ لا يحكم إلا بشرع محمد ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان .

وكل هذه أدلة قطعية تدل على كمال هديه ﷺ وأفضليته.

ومن فضّل على هدي الرسول ﷺ هدي غيره فهو كافر بدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١.

بل إن كمال هدي الرسول ﷺ وحسنه وأفضليته وخيريته مما أجمع عليه البشر قاطبة حتى المشركون قد علموا كمال خلقه ﷺ وحسن سيرته وفضل طريقته، ولذلك قال أبو طالب: ولقد علمت بأن دين محمد ** من خير أديان البرية دينا

وكانت قريش وهي على الكفر تسمي الرسول ﷺ الصادق الأمين.

فكيف بأقوام بعده يعتقدون أن طرق الصوفية خير من طريقة الرسول ﷺ وهدي الشيوخ خير من هدي الرسول ﷺ وأنه لا يجب اتباع طريقة الرسول ﷺ الذي رسمه للأمة بينما طريق الشيخ يكفر المريد إن خالفه، وأن الطرق التي ابتدعها المبتدعة في العبادة أو الدعوة أو الجهاد خير من طريقته.

وكيف للمستغربين والمتفرنجين في زماننا من المعجبين بالكفار وعباد الصليب يفضلون طريقة أوليائهم من الغرب الكافر وأنظمته ومبادئه أو الأحكام التي يطبقها والدمقراطية أكمل وأفضل من أحكام الرسول ﷺ ومن شريعته، أو من يقول: طريق الرسول ﷺ لا يصلح في هذا العصر، أو من يتأول ويقول: طريق الرسول ﷺ هذا هو الطريق الذي نحن عليه وهو يخالف طريق الرسول ﷺ في الحقيقة.

فائدة لطيفة: تفضيل هدية ﷺ مما اتفق عليه الناس، حتى الكفار والمشركون.

ولذلك العلمانيون الذين يفضلون هدي الغرب على هدي الرسول ﷺ والصوفية الذين ابتدعوا الطرق الصوفية وفضلوها على السنة أشد كفراً من قريش.

المسألة الرابعة : موت الرسول ﷺ :

أخبر الله ﷻ بأن الرسول ﷺ سيموت وأنه ميّت لا محالة ودليل ذلك :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الزمر ٣٠.

وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٤.

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٤.

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن: ٢٦.

قال أبو بكر ﷺ: (أما الموتة التي كتبت لك فقد ذقتها) وقوله للصحابة : (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات) رواه البخاري.

وقال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا) رواه أحمد ومالك.

ومع هذا كله فيوجد من يعتقد عدم موت الرسول ﷺ وأنه لا يزال حيا حياةً حقيقية ، كما هو عند غلاة الصوفية ، ولهذا سألوه واستغاثوا به ودعوه من دون الله.

ولقد رد ابن القيم على أصحاب هذه الفرية وكشف شبهاتهم في النونية بقوله:

ولقد أبان الله أن رسوله ... ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعثه لنا ... في القبر قبل قيامة الأبدان

أثلاث موتات تكون لرسله ... ولغيره من خلقه موتان

إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ ... في الأرض حي قط بالبرهان

أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا ... مات الورى أم هل لكم قولان

قوله : (والناس إذا ماتوا يبعثون .

والدليل قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ طه: ٥٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ نوح ١٧/ ١٨.

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾النجم٣١.

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى :

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف حقيقة البعث والحساب واليوم الآخر .

وسنبينه بعدة مسائل.

مبحث : البعث والإيمان باليوم الآخر

م (١) : **أسماء اليوم الآخر** : لعظمته له أسماء كثيرة وقانا الله شره ، منها.

القيامة ، البعث، الساعة ، الحاقة ، القارعة ، الحشر ، التغابن ، وغيرها .

م (٢) : سمي باليوم الآخر :لأنه آخر يوم من أيام الدنيا واليوم الذي بعده هو يوم القيامة، ثم دخول الجنة أو النار . وآخر يوم في الدنيا تطلع الشمس من مغربها .

م (٣) : **يشمل اليوم الآخر أربعة أمور** :

أولاً :الموت وفتنة القبر وعذابه ونعيمه وما جاء في ذلك .

والأصل فيه حديث البراء بن عازب ﷺ .

ثانياً : أشراط الساعة وتنقسم إلى

١- أشراط صغرى : مضت أولها بعثة الرسول ﷺ ، وصغرى لم تأت بعد منها أن تلد الأمة ربتها والملحمة الكبرى وقتل اليهود والقحطاني وانحسار الفرات.

٢- كبرى: تأتي بعد طلوع المهدي أولها الدجال فنزول عيسى فخروج يأجوج ومأجوج والدابة والنار والدخان والخسوفات والريح وطلوع الشمس من مغربها .

ثالثاً : ما يحصل في عرصات يوم القيامة اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة:

١- النفخات في الصور ، وما يعقبها ويتخللها من تبدل الأرض غير الأرض وتشقق السماء وتناثر الكواكب وتكوير الشمس .

٢- البعث من القبور ورجوع الأرواح للأجساد والنشر والحشر والحساب والميزان والشفاعة والحوض والصراط.

رابعاً : الجنة والنار وما يتبع ذلك من رؤية الله ﷻ .

م (٤) : لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله . والدليل قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٨٧ .

م (٥) : إنكار البعث وقيام الساعة من الكفر الناقل عن الملة ، وفيه طعن في عدل الله وكماله ، والدليل في مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ سبأ: ٣.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧ .

وقد وقع في إنكار البعث طوائف من المشركين والفلاسفة .

م (٦) : إنكار البعث داخل في عموم الشرك فهو من الكفر بالربوبية، لأن البعث من أفعال الربوبية.

م (٧) : **العقيدة في الجنة والنار :**

أنها دار الوعد والوعيد دار الجزاء الثواب والعقاب والنعيم والعذاب .

والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون ، والنار يدخلها العصاة لكن لا يخلدون فيها والكفار يخلدون فيها.

وهي مخلوقة الآن ولا تفنى خلافا للمعتزلة .

وثبت دخول طوائف فيها قبل يوم القيامة ، كما سمع الرسول خفق نعلي بلال فيها والشهداء وغيرهم ، وعرض آل فرعون على النار .

وجاءت الأخبار في وصفها نسأل الله من فضله الجنة ونعوذ بالله من النار .

قوله : (وأرسل الله جيع الرسل مبشرين ومنذرين .

والدليل قوله تعالى :

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥ .

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين .

والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ النساء: ١٦٣ .

وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت .

والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦).

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف مسائل النبوات .

وقد ذكرت بعض مسائلها في مواضع من هذه الرسالة :

١- باب توحيد المتابعة في الأصل الأول في التوحيد.

٢- شهادة أن محمدا رسول الله في أركان الإسلام.

٣- الأصل الثالث : معرفة الرسول ﷺ وسيرته .

٤- أركان الإيمان في الأصل الثاني في باب الإيمان بالرسل.

٥- وذكر أيضا مبحث الرسل هنا .

وسنذكر هنا باب النبوات أحد أبواب العقيدة ونشرح المسائل التي أوردها الشيخ ونذكر ما لم يورده مما يتعلق بهذا الموضوع ويلزم المسلم معرفته والإيمان به:

مبحث:الإيمان بالنبوة والرسل والأنبياء

المسألة الأولى : تعريف النبي والرسول :

في اللغة : النبي مشتق:

من النبأ وهو الخبر . ومن النبوة وهي الرفعة والعلو .ومن النبي وهو الطريق.

والنبي فيه هذه الثلاث صفات :

فهو مخبر عن الله ، كما أن منزلته عالية ورفيعة ، وهو طريق ووسيلة إلى الله .

والرسول : من الرسل وهو البعث والانبعاث ومن الرسل وهو التتابع .

م (٢) : تعريف النبي والرسول في الشرع .

هو الذي يبعثه الله إلى الناس ويوحي إليه ويأمره بالبلاغ والدعوة .

م (٣) : الفرق بين الرسول والنبي :

١ - أن النبي خاص بالبشر أما الرسول فيطلق على البشر والملائكة .

٢- الفرق بين النبي والرسول البشري .

قيل هما اسمان لمعنى واحد .وقيل بينهما فرق وهذا الصحيح .

والدليل على وجود فرق بينهما قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢ . وحديث أبي ذرفي عدد الأنبياء والرسل.

ومما قيل في التفريق بينهما : أن الرسول يبعث بشرع جديد أو يأمر بالتبليغ ويرسل أو ينزل له كتاب . وهذا بخلاف النبي فيأتي بشرع من قبله ولا يختص بشرع يخصه ولا ينزل له كتاب وقد لا يؤمر بالتبليغ فهو بمثابة العالم في هذه الأمة.

وهذه الفروق كلها ضعيفة ويدخلها النقض والاعتراض ، فقد ينزل للنبي كتاب كزبور داود ولم يذكر الله لهود وصالح وإسماعيل كتباً مع أنهم رسل .

وقد يكون الرسول على شرع من قبله كما كان إسماعيل ويوسف وعيسى .

أما القول بأن النبي قد لا يؤمر بالبلاغ ولا يكون مرسلا ومبلغا فهذا القول باطل فالنبي مرسل ومبلغ ومنذر وإلا ما الحكمة من كونه نبي ووما يدل على أن النبي مرسول : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾.

والصحيح أن الرسول هو من يرسل لقوم مشركين. والنبي يبعث لمسلمين موافقين في التوحيد كأنبياء بني إسرائيل. وهذا اختيار ابن تيمية في كتاب النبوات .

م (٤) : **العقيدة في الرسل** : يجب علينا التصديق بالرسل كلهم ومحبتهم واعتقاد أنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله، وأنهم بلغوا الرسالة وجاهدوا في الله .

تنبيه : التفريق بين الرسل والتفضيل بينهم :

لا يجوز التفريق بين الرسل في الإيمان ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥.

ويجب اعتقاد تفاضلهم بدليل: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣، فالرسل أفضل من الأنبياء ، وأفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ونوح .

أما نهي الرسول ﷺ عن تفضيل بعض الأنبياء عليه فهو من باب التواضع ، وحملا لأمته على احترام الرسل وعدم الطعن فيهم كما فعلت اليهود .

م (٥) : **الحكمة من إرسال الرسل :**

١- تبليغ الناس بمراد الله ﷻ. ودعوتهم لكل خير وصلاح . وسياسة الأمة.

٢- دعوتهم لعبادة الله وحده وتوحيده في القصد والعمل والكفر بالطاغوت.

٣- إنذار الناس معصية الله. تبشير المطيع بالجنة. وإقامة الحجة وقطع العذر .

٤- دعوة الاتباع للعمل للدين والصبر عند ملاقاة الأعداء وتحمل الأذى فصراع الباطل للحق والصد عن سبيل الله سنة في الخلق تستوجب الجهاد ونصرة الدين: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ الأنعام: ٣٤.

م (٦) : حاجة الناس للرسل أشد من حاجتهم للطعام والنفس :

لأنهم الطريق الوحيد الموصل لمطلوب الله ومراده والقرب من الله والسعادة .

م (٧) : دين الأنبياء واحد وهو الإسلام والتوحيد وشرائعهم شتى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري.

م (٨) : لا يعذب الله أحدا إلا بعد بعثة الرسل وبعد بلوغ الحجة الرسالية يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥ .

م (٩) : الإيمان بالرسل مفصل ومجمل :

الإيمان المفصل متعلق بالرسول ﷺ كذلك من عرف من الأنبياء .

الإيمان المجمل وهو بالإيمان بالرسل إجمالاً والإيمان بما لم يعرف من سيرهم.

م (١٠) : لا تنافي بين نزول عيسى آخر الزمان وختم الرسالة بمحمد ﷺ.

١- أن عيسى عليه السلام قبل الرسول ﷺ وليس بعده وهو حي وقد رفعه الله إليه وينزل آخر الزمان لا أنه يبعث من جديد .

٢- ثم إنه يعمل بشريعة محمد ﷺ وبالقرآن ولا يعمل بالإنجيل ولا بشريعته فيكون بذلك تابعاً لمحمد ﷺ .

م (١١) : المخالفون في باب النبوة والنواقض المتعلقة بها :

١- إنكارها وهم أعداء الرسل.

٢- إنكار عالمية رسالة محمد ﷺ كما زعم بعض النصارى وأن نبوته للعرب.

٣- أن الرسالة فيض واكتساب وقوة فعل وسعة خيال وهؤلاء الفلاسفة .

٤- أنه يجوز الخروج عن شريعتهم وهذا قول الصوفية والمشرّعين للقوانين.

٥- الغلو فيهم بعبادتهم من دون الله وإعطائهم صفات الألوهية والربوبية .

٦- أن النبوة لم تختم بل باقية كما يقوله القاديانية والإسماعيلية والبهائية .

٧- النبوة لابد لها من حجج ولا تعرف إلا بالمعجزات وهذا قول الأشاعرة.

٨- تقديم العقل على الشرع والأحاديث كما عند المتكلمين وأصحاب الرأي.

م (١٢) : النبوة صفة ثبوتية إضافية :

النبوة صفة قائمة بالنبي مثل الكرم والجمال وغير ذلك من الصفات الثبوتية، وليست النبوة مجرد صفة اعتبارية تطلق على النبي بمجرد الوحي كما تقوله الأشاعرة ، وقد نص على ذلك ابن تيمية في النبوات . وبينا المسألة في ردنا على الأشاعرة .

م (١٣) : النبوة اجتباء واصطفاء وليست مكتسبة .

النبوة فضل من الله يؤتيها الله من يشاء من عباده فيرسل أفضل خلقه وأحبهم إليه وأطوعهم له وأعرفهم به وليس لهم في النبوة كسب كما عند الفلاسفه، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ الأنعام: ١٢٤ ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ ص: ٤٧.

م (١٤) : شروط النبوة : يشترط في النبي الصدق والأمانة والنسب والخلق والذكورة والإنسية والقروية فلا يرسل البدوي والمرأة والجن ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

﴿ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ يوسف: ١٠٩. كما يشترط أن يكون معصوماً من الكبائر والكذب وليس الرسل بكاملين بل يعتريهم النقص كبقية الخلق النوم والمرض والسهو والتعب وبقية الصفات البشرية. ولا يشترط أن يكذبه قومه .

م (١٥) : **عصمة الرسل :**

العصمة في اللغة وردت بمعنى المنع والحفظ والحبل وكل ما أمسك الشيء .

وهي لطف من الله تحمل النبي على فعل الخير وترك الشر مع وجود الاختيار .

الجوانب التي عصمت فيها الرسل :

١- المنعة والحفظ من حصول الزلل في التبليغ والدعوة وبيان الدين والشرع .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤.

٢- العصمة من الكفر والشرك : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الزمر: ٦٥.

٣- الضلال والغواية والفساد : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ .

٤- الكذب والخيانة : قال ﷺ : (إني لا أقول إلا حقاً) رواه أحمد.

٥- كبائر الذنوب بعد البعثة . أما الخطأ والسهو والصغائر فيحصل منهم لكن لا يقرون عليه وقد لام الله ﷻ نبيه في مواضع منها: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عبس: ١ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ التوبة: ٨٤ ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٤٣. وقوله ﷺ : (أنتم أعلم بأمور دينكم)رواه مسلم. ولوم الله ﷻ يونس، ولومه نوحا حين سئل عن ابنه .

م (١٦) : الطعن في الرسول طعناً في مرسله وهو الرب ﷻ وقدح في صفاته وكماله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١. والتكذيب برسولٍ واحدٍ يعتبر تكذيب بالرسل جميعا : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٥.

م (١٧) : خصائص الرسول ﷺ ، تقدمت .

منها التي تخصه عن الأنبياء . ومنها ما يخصه عن أمته كالجمع بين تسع زوجات وطيب عرقه والتبرك بآثاره وإسلام قرينه وأنه لا ينام قلبه ويرى من خلفه .

م (١٨) : حقوق الأنبياء:

الإيمان بهم، طاعتهم، محبتهم، توقيرهم، إتباعهم، نصرتهم، قتال من لم يؤمن بهم ، معرفة سيرتهم وحياتهم وقصصهم والاقتداء بهم ، قتل من يسبهم وينتقصهم.

م (١٩) : طرق معرفة الرسل ، والفرق بينه وبين الساحر ، ضابط المعجزة وطريق دلالتها ، ومخالفة الأشاعرة في ذلك. وقد بينتها في كتاب الأشاعرة .

م (٢٠) : ختم النبوة بمحمد ﷺ : والدليل :

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

قال ﷺ : (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون). رواه البخاري .

وقال ﷺ : (لا نبي بعدي) رواه البخاري.

ومن خالف ذلك ولم يتيقن أن الوحي والنبوة ختمت به فهو كافر مرتد .

م (٢١) : عدد الأنبياء : جاء في حديث أبي ذر عند أحمد وغيره بسند ضعيف : أن أول نبي آدم،وهو نبي مكلم، وأن عدد الأنبياء ١٢٤ ألف والرسل ٣١٥.*

---

* ذكر منهم في القرآن: آدم، إدريس، نوح اول رسول على أهل الأرض لما وقعوا في الشرك ومن قبله كانوا أنبياء وجميع البشر من أولاده، هود أول رسول إلى أهل الأرض بعد نوح، صالح، إبراهيم ابو الأنبياء، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، يونس، موسى، هارون، إلياس، اليسع، داوود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى ابن مريم، محمد . وقد ذكر ١٨ في آية (وتلك حجتنا) في سورة الأنعام، وبقي سبعة نظمت في بيت:

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذا الكفل آدم بالمختار قد ختموا

أما من اختلف في نبوته أو ذكروا من غير تعيين فمنهم: الخضر، عزير، شيث، يوشع، حزقيل، شمويل الذي بعث طالوت، شيعيا، أرميا، دانيال، ذو القرنين، تبّع، أنبياء سبأ، انبياء اصحاب القرية، أصحاب الرس، لقمان، الأسباط.
تنبيه : ما جاء في خالد بن سنان ومجيء ابنته للنبي ﷺ ، وأنه قال عنه اضاعه قومه، كله لايصح.
ومما يرد ذلك قول النبي ﷺ: (ليس بيني وبين عيسى نبيّ) رواه مسلم.

قوله : (وافترض الله على جميع العباد :

الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ".

والطواغيت كثيرون .

ورؤسهم خمسة :

إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن ادعى شيئًا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله .

والدليل قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

وهذا هو معنى : لا إله الا الله) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف حقيقة الكفر بالطاغوت .

وسنبينه ونشرح مراده في عدة مسائل.

مبحث : الكفر بالطاغوت

المسألة الأولى : تعريف الطاغوت في اللغةً :

الطاغوت: على وزن فعلوت، أحد الأوزان الدالة على المبالغة ، كجبروت.

والطاغوت صيغة تستخدم وتطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث .

وجمع الطاغوت : طواغيت، وطواغي.

ولفظ الطاغوت مشتق من الفعل : طغى يطغى ويطغو طغيانا، من المجاوزة، ومنه طغى الماء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾. وكل من جاوز حدَّه في العصيان فهو طاغ .

فمعنى طغى: جاوز القَدْرَ وتعدى حده في العصيان وارتفعَ وغَلا في الكفر.

وسمي الطاغوت طاغوتاً : لأنه طغى وتجاوز الحد في الكفر .

م (٢) : معنى الطاغوت في الاصطلاح الشرعي: له تعريفات أضبطها:

١ - الطاغوت هو كل ما تجوّز به الحد من متبوع أو مطاع أو معبود .

٢- كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بذلك . ولو في باب من أبواب العبادة، كالحب والموالاة والمعاداة ، أو الطاعة والحكم والتشريع ، أو الدعاء.

ويدخل في هذا التعريف كل ما أمر بكفر أو قرره مما يخرج من الدين مطلقاً ، سواء أكان عبادةً أو إتباعاً أو طاعةً أو غيرها .

م (٣) : **الفرق بين الكفر والطاغوت** : ليس كل كافر طاغوتاً، وليس كل كفر يعتبر بواحا، فالكفر منه المجرد والمغلظ، والكفار منهم العادي ومنهم الطاغوت ومنهم دون ذلك . ولذلك فالطاغوت هو ما زاد عن الحد في الكفر .

م (٤) : ليس كل معبود يسمى طاغوت :

الطاغوت يكون حيا وجمادا والمعبود إذا كان حيا وكانت عبادته برضاه فهو طاغوت وإلا فلا ، فالملائكة وعيسى ليسوا طواغيت ولا يجوز أن يسمون طواغيت.

وقد وهم البعض حين قال أنهم جعلوا طواغيت بعبادة المشركين ، فتصير الطاغوتية في عبادة الناس لا في ذوات المعبودين، وهذا التوجيه بعيد لأن العبادة في الحقيقة وقعت للشيطان فهو إله ومعبود كل مشرك في الحقيقة ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ ﴾ سبأ: ٤١ ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾ النساء: ١١٧.

أما من قد يستدل بقول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثنا) رواه أحمد.

فالجواب : أن الوثن في ذات القبر وترابه وليس صاحبه، ثم هناك فرق بين الطاغوت والوثن .

م (٥) : ضوابط الطاغوت وصفاته :

١- من ادعى صفة من صفات الله الخاصة به سبحانه . كالعبادة والألوهية أو الربوبية أو العلم الشامل أو الغيبي أو التشريع والحكم أو القدرة التامة أو الكمال.

٢- ما هو رأس في الضلال يدعو للباطل وينشر الفساد، ويصد عن دين الله .

٣- من يعبد الناس لغير الله .

تنبيه: قد يتصور حصول الجهل ببعض أفراد الطاغوت وبعض صور الكفر به لذل كان لزاما عليك أن تعرف صفاته وضوابطه .

م (٦) : أقسام الطاغوت : الطاغوت ثلاثة أقسام :

١- طاغوت العبادة : ويدخل فيه كل ما عُبد من دون الله ، فإن كان من الأحياء الملائكة أو الإنس أو الجن فلا بدّ من رضاه حتى يسمى طاغوتا ، وإن كان من الجمادات أو الحيوانات فلا يشترط رضاه ويسمى طاغوتا مطلقا .

٢- طاغوت الاتباع : ويدخل فيه الكهان والسحرة وعلماء الضلالة وعبّاد الغواية الذين يُتبعون فيما يقولون، ويحيدون عن شرع الله ﷻ .

٣- طاغوت الطاعة : ويدخل فيه الحكام والأمراء والرؤساء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله وينحون شريعة الله ودينه ويتحاكم الناس لهم ، ويحرمون ما أحل الله أو يحللون ما حرم الله سبحانه فيطيعوهم المشركون بهم.فكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وكل ما أطيع من دونه فهو طاغوت وكل ما اتبع من دون الله فهو طاغوت.

قال ابن سحمان : (الطاغوت ثلاثة أنواع : طاغوت حكم وطاغوت عبادة وطاغوت طاعة ومتابعة) . الدرر ١٠/ ٥٠٢ .

قال ابن القيم: (**هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**).

وعلى هذا التعريف فالطاغوت ثلاثة أقسام :

١- المعبود : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الزمر١٧ ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ المائدة: ٦٠.

٢- المتبوع: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾ البقرة: ٢٥٧ ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٧٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٥١.

٣- المطاع والمتحاكم إليه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .

م (٧) : رؤوس الطواغيت :

قال محمد بن عبدالوهاب : الطواغيت كثيرة ورؤوسها خمس :

الأول : الشيطان لعنه الله .

الثاني : الذي يحكم بغير ما أنزل الله والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤.

الثالث : الحاكم الجائر المشرع المغير لأحكام الله تعالى والدليل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ النساء: ٦٠.

الرابع : الذي يدعي علم الغيب .

الخامس : الذي يعبد من دون الله وهو راض ، أو يدعو الناس لذلك.

وهذا النوع على قسمين :

١- الداعي الملزم : وهو من يدعو الناس لعبادة نفسه .

٢- الراضي : من يرضى بعبادته وإن كان لا يدعو الناس لها.

وقد جعل الشيخ في رسالته التي في الطاغوت :رؤوس الطواغيت خمسة:

١- الشيطان. ٢- المشرع. ٣-الحاكم بغير ما أنزل الله. ٤- مدعي علم الغيب. ٥- مدعي الألوهية الداعي لعبادة نفسه أو من يرضى بذلك .

وجعل اثنين منها في شرك الحكم مما يدل على خطورته.

التشريع والتحليل والتحريم وشرك الحكم الطاعة أعظم الطواغيت وتقدم.

م (٨) : صور الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى ووجوب الحذر منها :

من صور الطواغيت وأمثلتها: المشرّع والحاكم المشرك والمضلل والمفسد والساحر وأئمة الصوفية المسوغين للشرك وشيوخ الرافضة والعلمانية واللبرالية والديمقراطية والحداثة والكره والتصوير والتلفاز والنت والتعايش والعولمة . ومنها القومية والوطنية والقبلية والإنسانية والأحزاب حيث يعقد الولاء والبراء فيها.

وبعد : فهذه بعض طواغيت زمانك فاحذرها وتجنّبها واكفر بها وحذِّر منها واعلم أنه قد عدل أكثر الناس عن عبادة الله إلى عبادة هذه الطواغيت وطاعتها واتباعها والتحاكم إليها وعقد الموالاة والمعاداة لأجلها.

قال ابن القيم : (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إلى غير الله ورسوله أو يعبدونه أو يتبعونه . فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة اله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) نقله عنه سليمان بن عبدالله في التيسير ص:٣٠.

فاعلم أيها الموحد اللبيب أن من سنة الله وجود الطواغيت والحق والباطل، وما من نبي إلا وقد ابتلاه الله تعالى بالطواغيت يقارعهم ويجاهدهم ويبطل شركهم وكفرهم، لتتمايز بجهادهم النفوس فيُعرف المجاهد الصابر من المنافق الكاذب المتخاذل، كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢،

م (٩) : قاعدة: الكفر بالطاغوت لا بد أن يأتي به المسلم عن قصد :

من عبد الله ولم يتبرأ من عبادة غيره ، فهذا لا يعتبر من أهل التوحيد ولا آمن بالله، فلا بد من الكفر بالطاغوت وترك الشرك قصدا . وبينا هذه المسألة في مواضع.

م (١٠) : أدلة الكفر بالطاغوت :

ورد التعامل مع الطاغوت في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ **بِالطَّاغُوتِ** وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا **الطَّاغُوتَ** ﴾ النحل: ٣٦.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا **الطَّاغُوتَ** أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ الزمر: ١٧ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ **وَالطَّاغُوتِ** وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١.

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ **الطَّاغُوتَ** ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٦٠.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ **الطَّاغُوتُ** يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٧.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى **الطَّاغُوتِ** وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ **الطَّاغُوتِ** فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٧٦.

فالآيات الثمان بينت سبعة أحكام : وجوب الكفر بالطاغوت ، ووجوب اجتنابه . وكفر من آمن به ، أو عبده ، أو تحاكم إليه ، أو تولاه ، أو قاتل في سبيله .

م (١١) : أقوال أهل العلم في المسألة :

قال محمد بن عبد الوهاب: (لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء ـ أي الطواغيت المعبودون من دون الله ـ وتكفيرهم) الدرر ١٠/ ٥٣.

وقال عبد الرحمن بن حسن:(التوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله ...والكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه) . فتح المجيد ٣٩٣ .

م (١٢) : حكمه وكونه شرطاً لصحة التوحيد وأن الإسلام لا يعتبر إلا به:

أول ما افترض الله على عباده الكفر بالطاغوت وإليه دعت جميع الرسل كما دل على ذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦، ويعتبر الكفر بالطاغوت الركن الأعظم في التوحيد إذ التوحيد لا يسمى توحيداً إذا لم يقم على النفي وهو الكفر بالطاغوت فهو أحد ركني لا إله إلا الله وهو ركن النفي، وإذا كان التوحيد لا يتحقق بدونه فإن الدين لا يصح ولا يقبل الإسلام إلا به، وقد نص العلماء على هذا الأصل وحكوا الإجماع عليه.

قال ﷻ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ ومن يقول لا إله إلا الله لكنه لا يكفر بالطاغوت فهو كافر غير مسلم .

فلا يجتمع إيمان بالله مع إيمان بالطاغوت ولا عبادة الله مع عبادة الطاغوت ولا التوحيد مع الشرك والطاغوت فما ثم إلا عبادة الله أو عبادة الطاغوت.

والكفر بالطاغوت له علاقة بأركان لا إله إلا الله وشروطها ونواقضها.

وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ﷻ لأهميته .

م (١٣) : صفة الكفر بالطاغوت وحقيقته وكيفيته وبم يحصل :

يحصل الكفر بالطاغوت بستره وتغطيته وإنكاره وجحده والبراءة منه وبغضه وعصيانه ومعاندته والامتناع عن طاعته .

فلابد من نفي ما ادعاه هذا الطاغوت لنفسه، وسلب خصائص الإله عنه، وحتى تكون مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت لابد أن تستمثل هذه الأفعال في قلبك وجوارحك، فتعصيه إذا أمرك، وتظهر مخالفته فلا تتابعه، وتكفر بحكمه ولا تمتثله، وإذا ادعى صفة من صفات الله كعلم الغيب أو التشريع والحكم أو العبادة، فأنت واجبٌ عليك أن تنفيها عنه وتنكرها وتظهر كذبه وتشهد بكفره وتعتقد بطلان عبادته وحكمه وطاعته وتكفر بعبادة غير الله ﷻ وتتركها وتبغضها وتكفّر أهلها وتعاديهم وكذلك تكفر بمتابعة أحد غير رسوله وتكفر بحكم من سواه .

وقد بين الإمام محمد كيفية الكفر بالطاغوت وصفته في خمسة أمور :

الأول : اعتقاد بطلان عبادتها والكفر بها والحكم عليها بالكفر .

الثاني : تركها واجتنابها . الثالث : بغضها . الرابع : تكفير أهلها وعابديها .

الخامس : معاداتهم، ويدخل فيها : إزالة الطواغيت والتصدي لها ومقاومتها .

قال محمد بن عبد الوهاب: (صفة الكفر بالطاغوت : أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكفر أهلها وتُعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتُحب أهل الإخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتُعاديهم ، وهذه : ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها) الدرر ١/ ١٦١ .

م (١٤) : مقتضيات الكفر بالطاغوت ولوازمه :

١- الجهاد والقتال: وهذا من أعظم معاني الكفر بالطاغوت وما شرع الجهاد إلا لهذا: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ الأنفال: ٣٩ والفتنة هي الشرك. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النساء: ٧٦.

٢- الولاء والبراء : الكفر بالطاغوت يكون بمعاداتها وبغضها والتبرؤ منهم: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾.

٣- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وعدم الإقامة عندهم ولا السفر إليهم، وهجرهم ومجانبتهم واعتزالهم ومفارقتهم وعدم مخالطتهم.

٤- تكفير الطواغيت، ومخاطبتهم باسم الكفر: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

٥- التحذير منها ودعوة الناس إلى الكفر بها .

٦- تكسيرها وهدمها وإزالتها وقد كسر الرسول ﷺ الأصنام، ولم يستبق طاغوتاً لا حياً ولا جماداً، فأمر بهدم الأصنام والطواغيت وقتل الطواغيت .

٧- الإغلاظ عليهم : قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩.

م (١٥) : أنواع الطاغوت :

١- الجماد وغير العواقل: التي لا توصف بكفر ولا إيمان كالأصنام .

٢- الأحياء العواقل من الناس.

٣- الأمور المعنوية فكل ما صد عن دين الله طاغوتاً، كالهوى، وعد ابن القيم المجاز والتأويل طواغيت، ومثلها المصلحة والدمقراطية، حين قدمت على التوحيد.

م (١٦) : **الإيمان والكفر المشروع والممنوع :**

الإيمان المشروع هو الإيمان بالله وبقدره وملائكته ورسله وكتبه والبعث .

والكفر الممنوع: الكفر بالله وبرسله وكل ما أمر الله أن نؤمن به .

والإيمان الممنوع هو الإيمان بالطاغوت .

والكفر المشروع: هو الكفر بالطاغوت .

كما أن الإيمان قول وعمل كذلك الكفر بنوعيه المشروع والممنوع قولا وعملا.

م (١٧) : **الكفر بالطاغوت يكون : بالقول والاعتقاد والعمل :**

أولا : الكفر بالطاغوت المتعلق بالقلب يكون : ببغضه وكرهه وتمني زواله.

ثانيا: الكفر بالطاغوت المتعلق بقول اللسان يكون:بالتصريح بكفره والتحذير منه وسبه وتكفّيره وتبيين ضلاله ودعوة الناس للكفر به وتنفير الناس عنه .

ثالثا : الكفر بالطاغوت المتعلق بالعمل والجوارح ويحصل: بمجانبته ومفارقته واعتزاله وعداوته وعدم الإقامة معه والهجرة من عنده، وجهاده بالبيان والبنان والسنان والسعي في إزالته والقضاء عليه وإهانته.

قال سليمان بن سحمان: (المراد من اجتناب الطاغوت هو بغضه وعداوته بالقلب وسبه وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدرة ومُفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق) . الدرر ١٠/ ٥٠٢.

م (١٨) : **الكفر بالطاغوت أصل وكمال** : وتاركه على درجتين:

تارك الأصل وهذا كافر . تارك الكمال وهو عاصٍ . ويكون الكمال بالمبالغة في اعتزال الطاغوت والتفاني في عداوته ومجانبته قدر الاستطاعة مع تحمل الأذى .

م (١٩) : المخالفون في الكفر بالطاغوت :

١- المؤمن بالطاغوت والمصدق به والمقر به والمعتقد فيه .

٢- العابد للطاغوت .

والفرق بين الإيمان بالطاغوت وعبادته :

أن عبادة الطاغوت تتضمن الإيمان به فمن عَبَدَ الطاغوت فقد آمن به ولابد . أما المؤمن بالطاغوت ليس بالضرورة أن يكون يعبده فقد يكون مقراً به أو لا يكفره.

٣- المخالط للطاغوت غير المعادي له ولا المجانب والمجابه المفاصل له.

٤- المدافع عن الطاغوت والمقاتل عنه .

٥- المحارب لمن يكفر بالطاغوت مع اعترافه بأن هذا طاغوت ولكن ينهى عن معاداته وتكفيره والكفر به وهذا من الكفر الصراح وهذا أخطر الأنواع .

٦- المنكرون لعقيدة الكفر بالطاغوت، القائلون كذباً وزوراً : إن الله لم يتعبدنا بتكفير الناس . وقد فندنا هذه الشبهة في شرح النواقض .

٧- من يبسط لهم الموالاة والتودد، ويركن إليهم، ويذود عنهم، ويتوسع في التأويل لهم، وينصرهم على أهل التوحيد ويجعل الكفر بالطواغيت ومعاداتهم فتنة.

٨- من يقصر الكفر بالطاغوت على القلب دون العمل والباطن دون الظاهر، يحصر شهادة التوحيد في النطق أو القول فقط.

٩- من جرد الدين والعبادة عن حقيقتها وجعلها مجرد شعائر تعبدية وأخرج منها الحكم بالشريعة والتحاكم لها ومعاداة الكفار وغيرها، وقد بين الرسول ﷺ هذا الخطأ في معتقد عدي بن حاتم وكذا بينه أبو بكر للصحابة في قتال المرتدين .

مبحث : الجهاد وأن الإسلام والتوحيد لا يقوم إلا به

قوله : (وفي الحديث : " رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" رواه أحمد والترمذي) .

هذه الجملة قرّر فيها المؤلف باب الجهاد .

وسنذكر بعض ما يتعلق به من مسائل وفوائد ووقفات .

* الجهاد شريعة من شرائع الإسلام التي أُمرنا بها والذي لا يعدله عمل مثله في الفضل كما جاء في الحديث الصحيح وذلك لأن الدين لا يقوم إلا به وبه يتحقق الكفر بالطاغوت، وعلى أهله الاعتناء بالتوحيد والعلم وتصحيح العقائد .

* وهو أعظم مقتضيات الكفر بالطاغوت . وقد دل على فرضيته أدلة كثيرة منها: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء: ٨٩﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النساء: ٧٦.

* قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : (كل من قام بالجهاد فقد أطاع الله، **ولا يكون الإمام إماما إلا بالجهاد والعكس**... وفي قصة أبي بصير فهل قال له الرسول ﷺ أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام ... ومعلوم أن الدين لا يقوم إلا بالجهاد ولهذا أمر النبي بالجهاد مع كل بر وفاجر) الدرر ٨/ ١٩٩-٢٠١ .

وفي مصباح الظلام٢٩ :(إهمال الجهاد وتكفير المرتدين إنما يسلكه من لم يؤمن بالله) .

* الجهاد أربعة أنواع : جهاد الشيطان والنفس والكفار والمبتدعة والفسقة.

* مر تشريع الجهاد بمراحل،ولم ينسخ بل آية السيف: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥ نسخت بعض الأحكام.

* من أهميته جعله الرسول ﷺ ذروة سنام الإسلام . قال ﷺ :" رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " رواه الترمذي وأحمد.

* كثير من أهل العلم يجعلون الجهاد الركن السادس للإسلام .

* من تركه مع قدرته عليه ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق .و في الحديث: (من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) رواه مسلم.

* أخبر الرسول ﷺ أن الذل مرتبط بتركه . فقال ﷺ : (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أبو داود . والأخذ بأذناب البقر كناية عن الانشغال بالدنيا والوظائف والتعلق بالمال والاقتصاد .

* الدين ما قام إلا بالجهاد وما نصر الرسول ﷺ إلا بالجهاد ولله در القائل :

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب

ولما دعا والسيف صلتا بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وما قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وانتشرت إلا بالجهاد ، وقد عورض في التكفير والجهاد، وهي أعظم ما يحارب ويعادى عليه أهل التوحيد اليوم.

بل إن أي دعوة لا يناصرها السيف فمصيرها النهاية العاجلة، فما استعاد الكفار في أوربا حقوقهم إلا بعد الثورة الفرنسية التي مات فيها خلق كثير .

* وإننا لنعجب من ترك الجهاد من أهل الحق وخَوَرهم مع علمهم بما هم عليه من حق وأن العاقبة للمتقين وأن الآخرة خير من الأولى .

* ومن تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥ .

عرف صدق المجاهدين ويقينهم بالله وأنهم أحق من يرفع التوحيد، وليس المتقاعسين المرجفين والمخذلين لهم من أهل النفاق الذين قالوا :﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ آل عمران: ١٦٧ ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ الأنفال: ٤٩ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ آل عمران: ١٦٨ ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ الأحزاب: ١٣ . والذين قال الله فيهم :﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ المائدة: ٥٢ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ النساء: ١٣٩ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ التوبة: ٤٦ .

ويكفرون بقوله : ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٤١ ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ التوبة: ٣٩ ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ التوبة: ٤٥ ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ الأحزاب: ١٣ .

فانظر كيف ذم الله ﷻ الذين يستأذنون في ترك الجهاد ومدح من ينفر له مطلقا وتوعد تاركه وهؤلاء عكسوا الآية تماما .

*** حال الناس مع الجهاد:**

ومع ما سبق تقريره بالنصوص في منزلة الجهاد إلا أن محاربة الجهاد والتثبيط عن إعداد العدة في إرهاب المشركين كما فرض الله علينا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا

ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ قد صارت سمة ظاهرة في أهل النفاق، مصداقٌ لما أخبر به ﷺ ودلالة على نبوته .

حيث قال النبي ﷺ : (لا يزال الجهاد حلوا أخضرا ما قطر قطر السماء ، **وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم ليس هذا زمان جهاد** ، فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد ، قالوا يا رسول الله، أو أحدٌ يقول ذلك ؟ قال : نعم ، من عليه لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين) .

أخرجه أبو زمنين في أصول السنة، والداني في الفتن، وابن عساكر في تاريخه .

والحديث وإن كان سنده ضعيفاً إلا أن الواقع يصدقه ويشهد له بالصحة .

ثم إنه يشهد له ما جاء في صحيح مسلم عن قتال الطائفة المنصورة دون أن يضرها من خذلها أو خالفها. قال ﷺ: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك) .

وكذا ما جاء عند الطبراني بسند صحيح : (يأتي على الناس زمان يعدون الجهاد ضرراً) . ومنها أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة عند أبي داود وأبي يعلى .

كل هذا يدل على استمرار الجهاد وأنه ماضٍ إلى قيام الساعة ، وأنه سيوجد من سيحاربه ويخذل عنه ممن ينتسب للدين والعلم والفقه والذين هم القراء.

وقد تنوعت الأساليب في الصد عن الجهاد حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يسمي أهله بالجهاديين من باب لمزهم ، وهذه منقبة وليست مثلبة .

وعموما فالجهاد لا يريده أهل النفاق:﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ النساء: ٧٧.

فاختر لنفسك إحدى الطريقين الجهاد في دين الله أو تركه والصد عنه .

الخاتمة :

قوله: (والله أعلم ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم).

انتهى الكتاب نفعنا الله بما فيه ، وفي آخره رد الشيخ العلم إلى الله ، فما أوتي الخلق من العلم إلا قليلا، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥ ، وهذا من الأدب مع الله الذي علمنا ما لم نكن نعلم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣ ، فله المنة والفضل ، ونسأله تعالى أن يعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما .

والصلاة هي الدعاء بالرحمة وهي من حقوق النبي ﷺ علينا ، ومثلها السلام عليه والترضي عن آله وأصحابه .

والصلاة والسلام ليست في كل النسخ والأظهر أنه من وضع النسّاخ .

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

انتهى شرح الأصول الثلاثة

أسأل الله ﷻ أن ينفع به، وأن يجعله له خالصا ولشرعه موافقا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٣/ ١١/ ١٤٣٤هـ

الفهرس

مبحث : حقيقة الشرك

الأصول الثلاثة

مبحث : توحيد الربوبية

مبحث : العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

مبحث : العبادة

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام